

رسالة إلى ولدي

الداسل رُبُو حَبُرُ لِاللَّهِ فِي مَلْ بَرُبُحَ مِنْ قَالِمُ لِلطَّا إِسْرِيِّ



First Day Of Issue

مَالُولِمِيْ الْمِنْ الْانْفِكُنْدَيَّةً





رَفَعُ معبى (لرَّحِمْ الْهُجَّرِي السِلِنَمُ (الْفِرُوفُ مِنِي (سِلِنَمُ (الْفِرُوفُ مِنِي (سِلِنَمُ (الْفِرُوفُ مِنِي

رسالة إلى وَلَدِي مرح بي المرح بي مرح بي مر رَفْحُ عِس ((رَّحِی (الْبَخَّرَي (سِّکتر) (الِنْرُ) (الِنْرُووک مِسِی www.moswarat.com

ائمرْسِل ﴿ وَمِحْبُرُلُولِي مِنْعِيكُ بَنْ حَبُرُهُ قَالِمُرُلُولَ إِبْرِيّ عَفَااللّهُ عَنْهُ







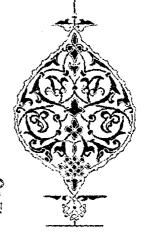
Ton Significant

الطبعةالأولى ٢٠١٠

رقم الإيداع ٢٠٠٧ / ٢٠٠٤ الترقيم الدولي

977/331/457/x

الْ الْوَلْمُ الْوَلْمُ الْمُولِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ اللَّهِينِينِ اللَّهِ الْمُعْلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمِعِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمِعِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعْلِيلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعْلِينِ الْمُعِلِينِ الْمُعْلِيلِينِ الْمُعْلِيلِينِ الْمُعْلِيلِي الْمُعْلِيلِينِ الْمُعْلِيلِينِ الْمُعْلِي





ŧ

-

رِسَالَمَتَ إِلَى وَلَدِي مِرْتُ فِي الْمُعَالِينَ فِي الْمُعَالِقِينَ فِي الْمُعَالِقِينَ فِي الْمُعَالِقِينَ

بيني ألله الجمز الحيث

مُعْتَلَمْن

إِنَّ الْحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغُفْرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّمَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدهِ الله مَنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّمَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْده الله فَهُو الله عَدي لَهُ ، وأشهد أَن الله فَلا هَادِي لَهُ ، وأشهد أَن لا إِلهَ إِلاَ الله ، وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ.

أُمَّا بَعْدُ،

فَهَذه رِسَالَةٌ بِعُنْوَانِ: «مَنْ تُصَاحِبُه» ، كَتَبْتُهَا لأَحَد أَبْنَائِي تَذْكَيرًا لَهُ ، وَإِيجَابًا لَحَقِّه ، ضَمَنْتُ ذَلِكَ طَرَفًا مِنَ النَّائِي تَذْكَيرًا لَهُ ، وَإِيجَابًا لَحَقِّه ، ضَمَّنْتُ ذَلِكَ طَرَفًا مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَة ، وَالأَخْبَارِ الشَّائِعَة ، وَالأَبْيَاتِ الرَّائِقَة ؛ لِيَجِدَ الْبَالِغَة ، وَالأَبْيَاتِ الرَّائِقَة ؛ لِيَجِد في فَهْمِهَا مُسَاعَفَة ، وَفِي التَّحَلِّي بِالآدَابِ مُكَانَفَةً (١).

وَإِنِّي لَمَّا وَجَدْتُ الثَّمَرَةَ مُضَاعَفَةً ، رَأَيْتُ أَنْ يُشَارِكَهُ يَكُارِكُهُ عَانَفَهُ مُكَانَفَهُ مُكَانَفَةً : عَاوَنَهُ (اللسان: كَنَف).



إِخْوَانُهُ غُنْمَها، وَعَلَيْنَا غُرْمُهَا؛ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ: «خَيْرُ الْعِلْمِ مَا حُوضرَ به»(١).

أَيْ : أَنْفَعُ الْعِلْمِ مَا حَضَرَ وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَكَانَ بَديهَةً كَمَا قَالَ الْحُطَيْعَةُ:

فَهَذَا بَدِيهٌ لا كَتَخْييرِ قَائِلٍ

إِذَا مَا أَرَادَ الْقَوْلَ زَوَّرَهُ شَهْرا

وَلا أَدَّعِي أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ الْغَايَةَ فَ (لا يَنْتَطِعُ فِيهَا عَنْزَانِ »(٢)، و (لا تَنْفِطُ (٣) فِيهَا عَنَاقٌ »(٤) (٥)، و (لا

⁽ ٥) انظر «مجمع الأَمثَالُ» (٢/٥٧٦)، و«الجَمْهرة» (٢/٤/٢).



⁽١) انظر «مجمع الأمثال» للميدانيّ (١/١١)، و«الأَمثَالُ» لأبي عُبيد (١٠١).

⁽٢) انظر «مُجمع الأمناً الله» (٢/٥٢)، و«الفَاخر» (٣١٢)، و«الشَاخر» (٣١٢)، و«المُسْتَقُصى» (٢/٢٧)، و«الجَمْهرة» (٢/٣٧).

⁽٣) النَّفيطُ: نَشيرُ المَعَز.

⁽٤) العَنَاقِ- بِزَنَةِ سَحَابٍ أُنْثَىٰ المَعَزِ، وَالجَمْعُ: أَعْنَقٌ، وَعُنُقٌ، وَعُنُوقٌ.

رسالقالى ولدي مِنْ فِي الْكُونِينُ ؟

عِطْرَ بَعْدَ عَدُوسٍ»(١)، و«كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا»(٢).

وَلَكِنْ أَقُولُ كَمَا قَالَ الأَوَّلُ: وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَللا

فَحَلَّ مَنْ لَا عَـيْبَ فِيهِ وَعَلَا جَرَى الْقَلَمُ بِمَا تَقَدَّمَ وكتبه وكتبه (بُورَجُبُرُلُولِيَّ) فَرْصِيْلُ لِيُرْجَبُرُلُولِيَّنَ فَرْصِيْلُ لِيُرْجَبُرُلُولِيَّنَ فَرْصَالُ الْمُرْكِيِّنَ الْمُؤْمِرُ وَالْمُرْكِيِّنَ



⁽أ) انظر « مُجمع الأَمثَال » (٢/١٥٠)، و « الأَمثَالُ » (ص٣٤٣).



⁽١) انظر « مُجمع الأمثال» (٢١/٢).

رِسَالَة إلى وَلَدِي مِنْ فَيْ الْحِيْلِ وَلَا مِنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّا اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللّل

بيني ألله التمز الحي

نَصُّ الرِّسالةِ

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ. أَمَّا بَعْدُ،

مِنْ فَيْصَلِ بْنِ عَبْده قَائِد الحَاشِدِيِّ إِلَىٰ جَنَابِ وَلَدِي الْعَزِيز / حَفظَهُ اللَّهُ.

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدُ،

أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ، وَأَسْأَلُهُ لَنَا وَلَكُمُ الثَّبَاتَ فيمَا نَقُولُ وَنَذَرُ.

أَيْ بُنَيَّ، تَوَسَّمْتُ فِيكَ النَّجَابَةَ صَغِيرًا، وَالْعَقْلَ وَحُسْنَ الرَّايِ فَتِيًّا، وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ أَمَاراتِ الشَّبَابِ عَلَيْكَ بَحُسْنَ الرَّايِ فَتِيًّا، وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ أَمَاراتِ الشَّبَابِ عَلَيْكَ بَادِيَةً ، أَحْبَبْتُ أَنْ أُذَكِّرَكَ مَا أَنْتَ بِحَاجَةً إِلَيْهِ، وَلَاسِيَّمَا



في هذه اللَّحْظة مِنْ عُمرِكَ، وَهُوَ لُزُومُ صُحْبة الصَّالِينَ، وَهَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ صِفَاتِ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ، وَعَظِيمَ نَفْعِهِ، وَخُطُورَةَ صَديقِ السَّوْءِ، والخِلالَ المُعْتَبَرَةَ فِيه، مَعَ عِلْمِي أَنَّكَ مِنْ أَشَدٌ النَّاسِ نُفُورًا مِنْهُ، لَكِنْ مِنْ بَابِ:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّرَّ لا لِلشَّرَّ لا لِلشَّرَّ لا لِلشَّرَّ لا يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ الخَيْرِ يَقَعْ فِيهِ

وَلاَنَّ الصَّاحِبَ الصَّالِحَ - يَا بُنَيَّ - إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ وَيُعْرَفُ قَدْرُهُ بِذِكْرِ ضِدِّهِ، كَمَا قِيلَ:

وَنَذِيمُهُمْ (١) وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَصْلَهُ

وَبِضِدٌّ هَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْبِياءُ

أَسْأَلُ الله أَنْ يَنْفَعَكَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَيُفَقِّهَكَ فِي الدِّين، وَيَجْعَلَكَ هَاديًا مَهْديًّا.

⁽١) «نَذيمُهُمْ: نَعيبهُم ونَذمُّهم، وبَابُهُ بَاعَ.

اخْتِيارُ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ تَوْجِيهُ رَبَّانِيٌ

أَيْ بُنَيَّ، لَقَدْ أَمَرَ الله - سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ - بِحُسْنِ اخْتِيَارِ الصُّحْبَة، فَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ - عَلِيلَة -: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجُهَهُ ﴾ [الكَهْف: ٢٨].

قَالَ الطَّبَرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: « وَاصْبِرْ يَا مُحَمَّد نَفْسَكَ مَعَ أَصْحَابِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، مِعَ أَصْحَابِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، بِذَكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّحْميد، وَالتَّهْليل، وَالدُّعَاء، وَالأَعْمَالِ الصَّالِ الصَّالِحَة مِنَ الصَّلُواتَ المَفْرُوضَة وَغَيْرِهَا، وَالاَّعْمَالِ الصَّالِ الصَّالِحَة مِنَ الصَّلُواتَ المَفْرُوضَة وَغَيْرِهَا، يُريدُونَ بِهِ غَرَضًا مِنْ يُريدُونَ بِهِ غَرَضًا مِنْ غَرَضَ الدُّنْيَا »(١).



⁽١) « تَفْسيرُ الطَّبَرِيِّ» (١٥٤/١٥).

فَانْظُرْ - يَا بُنَيُّ - إِلَىٰ تَوْجِيهِ الله، واخْتَرْ لِنَفْسِكُ مَا اخْتَارَهُ الله لِنَبِيّهِ - عَيْكُ الله وَقَارًا، وَلا يُرِيدُونَ غَرَضًا مِنَ الصَّالِحِينَ الله يَرْبِدُونَ غَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ الصَّالِينَ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُمْ بَشَرٌ الدُّنْيَا، وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ الصَّالِينَ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُمْ بَشَرٌ كَسَائِرِ الْبَشَرِ، فَلا يَحْسُنُ أَنْ نُعَاتِبَهُمْ عَلَىٰ كُلِّ صَغِيرَة وَكَبِيرَة، فَمَا ذَاكَ بِأَخْلاقِ المُؤْمِنِينَ.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ - فَا اللهِ - قَالَ: «مَا مَسسْتُ دِيبَاجًا وَلا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ - عَلَيْكُ -، وَلَقَد خَدَمْتُ النَّبِيَّ - عَلَيْكُ - عَشْرَ سنِينَ، فَمَا قَالَ لِي وَلَقَد خَدَمْتُ النَّبِيَّ - عَلَيْكُ - عَشْرَ سنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أَفْ فَعَلْ مَا قَالَ لِي أَفْ فَعَلْ مَا قَالًا لِي أَفْ فَعَلْ مَا كَذَا ؟، وَلا لِشَيْءٍ لَمْ فَعَلْتَ كَذَا ؟، وَلا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلُهُ: أَلا فَعَلْتَ كَذَا وكَذَا » (١).

⁽١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٥٦١)، ومُسْلمٌ (٢٣٠٩).



وَلَقَدُ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الأُمُّورِ مُعاتبًا

صديقك ، لم تلق الذي لا تُعاتِبه وإنْ أَنْتَ لَمْ تَسْرَب مرارًا على القَذَى (')

ظُمِئْتَ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ؟! فَعِشْ واحدًا، أَوْ صِلْ أَخَاكَ؛ فَإِنَّهُ

مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجانِبُه (٢)

وقَالُ كُثُيِّرُ عَزَّةً :

وَمَنْ لا يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَديقه

وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُو عَاتِبُ وَمَنْ يَتَبِعْ - جَاهِدًا - كُلُّ عَنْسُرَة

يَجِدْهَا، وَلا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ (٣)

⁽٣) «مُحَاضَراتُ الأُدْبَاء وَمُحَاوَرَاتُ الشُّعَرَاءِ وَالْبُلغَاءِ» للرَّاغِبِ (٣/٥١).



⁽١) القَدْى - بزنة الفَتَى - : مَا يَقَعُ في الشَّرَابِ مِنْ تُرابِ ووسَخٍ وَسَخٍ وَسَخٍ وَسَخٍ وَنَحْوهُما، الوَاحَدة: قَذَاةٌ .

⁽٢) الشِّعْرُ لبشَّار بْن بُرْدٍ، كَما في «أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» (ص١٧٨).

حَثُّ النَّبِيِّ - عَلَيْ - عَلَيْ اخْتِيار الصَّاحِب الصَّالِحِ عَلَى اخْتِيار الصَّاحِب الصَّالِحِ

أَيْ بُنَيَّ، لَقَدْ حَتَّ النَّبِيُّ - عَلَىٰ حُدسْنِ الْخُتيار الصَّاحب الصَّالح.

فَعَنْ عَمْرو بن العاص - فَطَيْ اللهِ عَالَ: قالَ رسولُ اللهِ - عَلَيْ اللهِ - عَلَيْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

⁽٢) حَسَنٌ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٠٩٤٤)، والتَّرْمِذِيُّ (٢٣٩٥)، وأبو داوُدَ (٢٨٣٢)، وحسَّنهُ الأَلْبَانيُّ في «المشكَاةَ» (١١٨٥)، و«صَحِيْح الجَامِعُ» (٧٣٤١).



⁽١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٩٩٠)، وَمُسلمٌّ (٢١٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةً - فِلْ اللهِ عَلَىٰ دَينِ خَلِيلِهِ ؟ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ اللهِ - عَلَيْ اللهِ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ؟ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » (١).

فَبَيَّنَ - هُنَا - أَنَّ المرْءَ مُسْاكِلٌ وَمُمَاثِلٌ لِخَلِيلهِ وَجَلِيسه في الاسْتِقَامَة وَالصَّلاحِ وَعَدَمِهِمَا ؛ وَلِذَا قَالَ - مُرَغِّبًا في اخْتِيارِ الجُلِيسِ-: «فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»، أَيْ: لِيَتَبَيَّنْ مَنْ خَلِيلهُ، وَلْيَخْتَبِرِ الخَلِيلَ وَالصَّاحِبَ الْمُرضيّ في دينه وَخُلُقه.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - : (قَوْلُهُ: «المَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ» مَعْنَاهُ: لا تُخَالِلْ إِلاَّ مَنْ رَضِيْتَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ؟

⁽١) حَسَنَّ، رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣٠٣/٢)، وأبو داوُدَ (٤٨٣٣)، والتَّرْمِذِيُّ (٢٧٢٨)، والتَّرْمِذِيُّ (٢٣٧٨)، وحَسَنَهُ (٢٣٧٨)، وحَسَنَهُ شَيْخنا الوداعيُّ فِي لِغَيْرِهِ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَة» (٩٢٧)، وحسَّنَهُ شَيْخنا الوداعيُّ فِي «الصَّحِيحَة» (٣٢٧).



رسالقالي ولدي مِرَى الْمِيَادِينِي مِرَى الْمِيَادِينِينِي ؟

فَإِنَّكَ إِذَا خَالَلْتَهُ ، قَادَكَ إِلَىٰ دِينِهِ وَمَذْهُبِهِ، فَلا تُغَرِّرْ بِدَيْهِ وَمَذْهُبِهِ، فَلا تُغَرِّرْ بِدَيْنِكَ، وَلا تُخَاطِرْ بِنَفْسِكَ، فَتُخَالِلَ مَنْ لَيْسَ مَرْضِيًّا في دِينِهِ وَمَذْهُبِهِ) (۱).



⁽١) «الذَّريعةُ إِلَىٰ مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ» (ص١٩٢).



الإنسانُ يُؤَثِّرُ وَيَتَأَثَّرُ

Ø

أَيْ بُنَيَّ، الإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ يُؤَثِّرُ وَيَتَأَثَّرُ، يُؤَثِّرُ عَلَىٰ غَيْرِهِ وَيَتَأَثَّرُ، يُؤَثِّرُ عَلَىٰ غَيْرِهِ وَيَتَأَثَّرُ بِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الأصْحَاب، وَحَتَّىٰ لَوْ كَانَ هَذَا وَيَتَأَثَّرُ بِمَنْ حَوْلهُ مِنَ الأصْحَاب، وَحَتَّىٰ لَوْ كَانَ هَذَا الصَّاحِبُ حَيَوانًا، وَعَلَىٰ هَذَا أَدِلَةٌ قَاطِعَةٌ، وَبَرَاهِينُ سَاطِعَةٌ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ » (١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْفَيْ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - عَلَيْ اللهِ - عَلَيْهِ -: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ اللهِ عَلَيْهِ -: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ، وَالْفَحْرُ وَالْحِيلَاءُ فِي أَهْلِ الْحَيْلِ وَالإِبلِ وَالإِبلِ وَالْفِدَادِينَ (٢) أَهْلِ الوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ».

فَهَاذَا الْحَادِيثُ - يَا بُنيَّ - مِنْ أَبْلَغِ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ

⁽٢) الفَـدَّادين - مُـثَـقَـلاً -: أصحَابُ الإبلِ مِنَ المَائتَين إلى الأَلْفِ، وَأَحِدُهُمْ فَدَّادٌ، وَهُوَ الصَّوْتُ الشَّديدُ.



⁽١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣٣٠١) ، وَمُسلمٌّ (٥٢).

الإِنْسَانَ ويَتَأَثَّرُ بِغَيْرِهِ مِنَ الأَصْحَابِ، فَهَا هُوَ يَتَأَثَّرُ بِحَيَوَانٍ بِسَبَبِ صُحْبَتِهِ.

فَالْحَيْلُ - يَا بُنَيَّ - لَمَا كَانَتْ تَمْشِي تَبَخْتُرًا؛ أَوْرَثَتْ مَنْ يُصَاحِبُهَا كَبْرًا، وَالنَّاقَةُ لَمَا كَانَتْ تَمْشِي رَافِعَةً رَأْسَهَا؛ أَوْرَثَتْ مَنْ يُصَاحِبُهَا عُجْبًا، وَالْبَقَرُ أَوْرَثَتْ مَنْ يُصَاحِبُهَا عُجْبًا، وَالْبَقَرُ أَوْرَثَتْ مَنْ يُصَاحِبُهَا عُجْبًا، وَالْبَقَرُ أَوْرَثَتْ مَنْ يُصَاحِبُهَا عُجْبًا، وَالشَّاةُ لَمَا كَانَتْ يُصَاحِبُهَا جَفَاءً وَغِلْظَةً؛ إِذْ ذَلِكَ طَبْعُهَا، وَالشَّاةُ لَمَا كَانَتْ سَاكِنَةً ؛ أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا سَكُونًا، وَلا يَقِفُ الأَمْرُ هُنَا، فَهَا هُوَ الْحَيَوانُ يَتَأَثَّرُ بِالْإِنْسَانِ، فَقَد اكْتَسَبَ مِنْهُ المُؤَالَفَةَ، وَقَلَا النَّقْرَة ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

قَالَ شَيْخُ الإسلام ابْنُ تَيْمِيَةً - رَحِمَهُ اللهُ -: « الآدَمِيُ إِذَا عَاشَرَ نَوْعًا مِنَ الْحَيَوَانِ اكْتَسَبَ بَعْضَ أَخْلاقِهِ وَلِهَذَا صَارَتِ الْخَيلاءُ وَالْفَخْرُ فِي أَهْلِ الإِبلِ، وَصَارَتَ السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الإِبلِ، وَصَارَ الجَمَّالُونَ وَالبَغَالُ وَالبَغَالُونَ فِيهِمْ أَخْلاقٌ مَنْ أَخْلاقِ الجَمَالُ والْبِغَالِ، وَكَذَلِكَ الكَلاَّبُونَ، مَذْمُومَةٌ مِنْ أَخْلاقِ الجِمَالُ والْبِغَالِ، وَكَذَلِكَ الكَلاَّبُونَ، مَذْمُومَةٌ مِنْ أَخْلاقِ الجِمَالُ والْبِغَالِ، وَكَذَلِكَ الكَلاَّبُونَ،



وَصَارَ الحيوانُ الإِنْسِيُّ فيه بَعْضُ أَخْلاقِ النَّاسِ مِنَ الْمُعَاشَرَةِ، وَالْمُؤَالَفَة، وَقَلَّة النَّفْرَة، فالمُشَابِهَةُ في الأُمُورِ الْمَاطِنَةِ عَلَىٰ وَجْهِ الظَّاهِرَة تُوجِبُ المُشَابِهَةَ فِي الأُمُورِ الْبَاطِنَة عَلَىٰ وَجْهِ المُسَارَقَة وَالتَّدَرُّجِ الخَفِيِّ »(١).

أَيْ بُنَيَّ، مَعَ إِيمانِي الشَّديد بِصحَّة الحَديث، وَصدْق المَعْصُومِ؛ فَقَدْ طَبَّقْتُ ذَلِكَ، وَجَرَّبْتُ مَعَ النَّاسِ مِنْ بَابِ (وَلَكَنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ».

وَمَعَ أَنِّي لا أَحْتَاجُ لِذَلِكَ، لَكِنِّي كُنْتُ أَسْتَرُوحُ لِنَفْسِي بُغْيَةَ تَقْرِيرِ الأَحَادِيثِ في اللَّهْنِ، فَلا أَنْسَىٰ مِنْ ذَلكَ شَبْئًا.

فَجَرَبْتُ ذَلِكَ مَعَ الخَيْلِ وَمَعَ أَصْحَابِهَا، وَحَسْبُكَ مَا صَحَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ رَكِبَ بِرْذَوْنًا (٢)، فَجَعلَ يَتَبَخْتَرُ بِهِ،

^(﴿) الْبِرْذُوْنُ: -بالكَسْرِ - مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ : مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ نَتَاجِ الْعِرَابِ ، والجَمعُ: بَرَاذِيْنُ. انظر (لِسَانَ العَرَبِ» (١ / ٣٧٠).



⁽١) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٤٨٧).

فَجَعَلَ عُمَرُ يَضْرِبُهُ، فَلا يَزْدَادُ إِلاَّ تَبَخْتُرًا، فَنَزَلَ عَنْهُ، وَلَا يَزْدَادُ إِلاَّ تَبَخْتُرًا، فَنَزَلَ عَنْهُ وَقَالَ: «مَا حَمَلْتُمُونِي إِلاَّ عَلَىٰ شَيْطَانٍ ؟ مَا نَزِلْتُ عَنْهُ حَتَّىٰ أَنْكُرْتُ نَفْسِي »(١).

وَأُمَّا الإِبِلُ فَالْحَدِيثُ عَنْهَا وَعَنْ أَصْحَابِهَا ذُو شَا لِإِبْلُ فَالْحَلَّ عَلَىٰ مَا لِبَلِّغُكَ الْمَحَلَّ عَلَىٰ مَا فَأَذْكُرُ أَنِّي الْتَقَيْتُ بِصَاحِبِ إِبِلٍ فَسَاوَمْتُ (٦) عَلَىٰ مَا فَأَذْكُرُ أَنِّي الْتَقَيْتُ بِصَاحِبِ إِبِلٍ فَسَاوَمْتُ (٦) عَلَىٰ مَا فَي ضَرْعِ بَعْضِهَا، فَطَارَ صَوَابُهُ، فَلا زِمَامَ مِنْ دِينٍ، وَلا فِي ضَرْعِ بَعْضِهَا، فَطَارَ صَوَابُهُ، فَلا زِمَامَ مِنْ دِينٍ، وَلا لِجَامَ مِنْ أَخْلاقَ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ الإِبلِ كَذَلك، وَلَكَ، وَلَكَنْ هَذَا الْغَالِبُ فِي حَقِّ مَنْ خَلا بِالإِبلِ ، وَأَنِسَ بِهَا مَنْ دُونَ النَّاس.

⁽ ٣) سَاوَمَ عَلَىٰ السَّلْعَةُ : غَالَىٰ .



⁽١) أَخرَجَهُ الطَّبَرِيُّ (١/٧٦)، وابنُ أَبِي شَيبة في «تَارِيخ المَدينَة» (١) أَخرَجَهُ الطَّبَرِيُّ (٨٢٢/٣).

⁽ ٣) الحَديثُ ذُوْ شُجُوْن أَيْ: ذُو شُعَب وَامتسَاكَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ يُضْرَبُ هَذَا امَثَلاً للْحَديث يُسْتَذْكَرُ به غَيْرُهُ .

وأمَّا الشَّاة فَقَدْ خَلَوْتُ بِهَا دَهْرًا أَرْعَاهَا، فَوَجْدْتُهَا سَاكنَةً، فَسَكَنَتِ النَّفْسُ عَمَّا لا يَحْسُنُ وَلا يَجْمُلُ.

وَيَكُفِي رُعَاةَ الشَّاةَ فَخْرًا قَوْلُ النَّبِيِّ - عَلِيَ -: «مَا بَعْثُ -: «مَا بَعْثُ اللَّهُ نَبِيًا إِلاَّ رَعَىٰ الغَنَمَ».

فَقَالَ أصْحَابُهُ: «وَأَنْتَ؟».

قَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ (١) لأَهْلِ مَكَّةَ»(١).

وأمَّا الفَدَّادُوْنَ أَصْحَابُ الإِبل ، فَقَدْ عَرفْنَاهُمْ فِي الْبَوَادِي وَالْقُرَى أَصْحَابَ جَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ.

وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ

حَتَّىٰ الحَدِيدُ سَطًا عَلَيْهِ المبردُ



⁽١) القَـرَارِيطُ: جَـمعُ القِيْسرَاطِ بالكَسْرِ ، وهُو جُـزْءٌ مِنَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّينَارِ أَوْ الدَّرْهَم.

⁽٢) أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٢٦٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

تأثيرالصاحب

Ø

أَيْ بُنَيَّ، إِنَّ تَأْثِيرَ الصَّاحِبِ فِي صَاحِبِهِ لَعَظِيمٌ، وقَدْ لا يَتفَطَّنُ لِذَلِكَ الأَعْمَارُ (١) مِنَ النَّاسِ.

شَيْئَان يَنْقُشَان لأَوَّل وَهْلَة:

ظِلُّ الشَّبَابِ، وَخُلَّةُ الأَشْرَارِ

وَيَزْدَادُ التَّأْثِيرُ إِذَا كَانَ الصَّاحِبُ ذَا جَاهٍ ، أَوْ مَالٍ ، أَوْ لِسَانٍ ، أَوْ سَمْتٍ حَسَنٍ ، وَالْمُصَاحِبُ دُونَ ذَلِكَ .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ – فَطَافِهِ – قَالَ: ﴿إِنَّهُ مَا مَشَلُ الْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ المَسْكُ وَنَافِحِ الكِيرِ (٣)، الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ المَسْكُ وَنَافِحِ الكِيرِ (٣)،

⁽٢) الكِيْرِ-بالكَسْرِ- الزِّقُّ الَّذي يَنْفُخ فِيْهِ الحَدَّاد، والجَمْعُ: أَكْيَارٌ وكيرَة.



⁽١) الأَغْمَارُ: جَمْعُ غَمْرِ - بالتَّثلِيث وَيُحَرَّك -، وَهُو مَنْ لَم يُجَرِّبِ الأُمُورَ.

⁽١) أخرجه البُخَارِيُّ (٢١٠١، ٣٥٥)، ومسلم (٢٦٢٨/١٤٦).

فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ (') ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُحْرِقَ وَإِمَّا أَنْ يُحْرِقَ لَيْحَا طَيِّبَةً ، وَنَافِحُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثَيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ».

وَهَذَا - يَا بُنَيَّ - حَدِيثٌ عَظِيمٌ، وَتَوْجِيهٌ مِنْ نَبِيًّ كَرِيمٍ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، وقد أرْشَدَ إِلَى مُصَاحَبَةِ الصَّالِينَ، وَالتَّحْذيرِ مِنْ مُصَاحَبَةٍ مَنْ يُتَأذَى بِمُصَاحَبَةٍ، وَبِالْمِثَالَ يَتَّضِحُ المَقَالُ.

فَالجَلِيسُ الصَّالِحُ مَثَّلَهُ بِحَامِلِ المِسْكِ، مَتَىٰ جَالَسْتَهُ حَصَلَ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلاتٍ:

إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، أَيْ: يُعْطِيكَ وَيُهْدِيَ إِلَيْكَ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ المُؤَثِّرَةَ عَلَىٰ تَشْتَرِيَ مِنْهُ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ الرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ المُؤَثِّرَةَ عَلَىٰ نَفْسكَ وَبَدَنكَ وَثِيَابِكَ، فَكَذَلكَ جَليسكَ الصَّالِحُ لابُدَّ أَنْ تَسْتَفيدَ مَنْهُ، وَتَنْتَفعَ بِمُجَالسَته.



⁽١) يُحْذيكَ: أَيْ يُعْطيكَ.

وَشَبَّهُ الْجَلِيسَ السَّوْءَ بِنَافِحِ الْكيرِ ، فَهُو إِمَّا أَنْ يَتَطَايَرَ عَلَيْكَ مِنْ شَرَرِ نَارِهِ ، فَيُحْرِقَ ثِيَابِكَ ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً كَلِيكَ مِنْ شَرَرِ نَارِهِ ، فَيُحْرِقَ ثِيَابِكَ ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً كَرِيهَةً تُصِيبُ بَدَنَكَ وَثَوْبَكَ ، فَكَذَلِكَ جَلِيسُ السَّوْءِ لابُدَّ أَنْ تَتَضَرَّرَ بِمُجَالَسَته .

قَالَ ابْنُ سَعْدِيً - رَحِمَهُ اللهُ -: (مَثَّلَ النَّبِيُ - عَلَيْكُ - عَلَيْكُ - عَلَيْكُ - بَهَ نَهْ الْمَالَحُ مَعِهُ، وَأَنْتَ في مَغْنَم وَخَيْرٍ كَحَامِلِ المسْكِ اللّذِي أَحْوَالِكَ مَعَهُ، وَأَنْتَ في مَغْنَم وَخَيْرٍ كَحَامِلِ المسْكِ اللّذِي تَنْتَفِعُ بِمَا مَعَهُ مِنَ المسْكُ : إِمَّا بِهِبَة ، أَوْ بِعَوَضَ، وأَقَلُ تَنْتَفِعُ بِمَا مَعَهُ مِنَ المسْكُ : إِمَّا بِهِبَة ، أَوْ بِعَوَضَ، وأَقَلُ ذَلكَ مُدَّةَ جُلُوسِكَ مَعَهُ ، وأَنْتَ قَرِيرُ النَّفْسِ بِرَائِحَة لَلكَ مُدَّةَ جُلُوسِكَ مَعَهُ ، وأَنْتَ قَرِيرُ النَّفْسِ بِرَائِحَة لَلكَ مُدَّةً خُلُوسِكَ مَعَهُ ، وأَنْتَ قَرِيرُ النَّفْسِ بِرَائِحَة المَسْكِ ، فَالحَيْرُ اللّهُ الْأَذْفَرِ (١) ؛ فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُعَلِّمُكَ مَا لَكَ نَصِيحةً ، أَوْ يُهْدِي لَكَ نَصِيحةً ، أَوْ يُحْذِي لُكَ مَنَ الْإِقَامَة عَلَىٰ مَا يَضُرَّكَ ، فَيَحُثُكُ عَلَىٰ طَاعَة يُحَذِي لُكَ مَنَ الْإِقَامَة عَلَىٰ مَا يَضُرُكَ ، فَيَحُثُلُكَ عَلَىٰ طَاعَة يُحَدِّرُكُ مَنَ الْإِقَامَة عَلَىٰ مَا يَضُرُّكَ ، فَيَحُثُلُكَ عَلَىٰ طَاعَة

⁽١) المسك الأَذْفَر: الجَيِّدُ إِلَى الغَايَةِ.



الله، وبرِّ الوَّالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَيُبَصِّرُكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ، وَيَدْعُوكَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ وَمَحَاسِنِهَا بِقَوْلِهِ فَعْلَهُ وَحَاله؛ فَإِنَّ الإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَىٰ الاقْتداء بصاحبه وَجَلَيْسه، وَالطِّبَاعُ وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ يَقُودُ بَعْضُهَا إِلَىٰ الخَيْرِ، أَوْ إِلَىٰ ضِدِّهِ.

وأقَلُّ مَا تَسْتَفِيدُ مِنَ الجَلِيسِ الصَّالِحِ (وَهِي فَائِدَةٌ لا يُسْتَهَانُ بِهَا) أَنْ تَنْكَفَّ بِسَبَبِهِ عَنِ السَّيِّغَاتِ وَالمَعَاصِي؛ يُسْتَهَانُ بِهَا) أَنْ تَنْكَفَّ بِسَبَبِهِ عَنِ السَّيِّغَاتِ وَالمَعَاصِي؛ رِعَايَةً للصَّحْبَة، وَمُنَافَسَةً في الْخَيْرِ، وَتَرَقُّعًا عَنِ الشَّرِّ، وَتَرَقُّعًا عَنِ الشَّرِّ، وَتَرَقُّعًا عَنِ الشَّرِّ، وَأَنْ يُحْفَظُكَ مَحَبَّتُهُ وَأَنْ يَحْفَظُكَ مَحَبَّتُهُ وَمَعْيبِكَ، وأَنْ تُنْفَعَكَ مَحَبَّتُهُ وَدُعَاؤُهُ في حَالٍ حَيَاتِكَ، وَبَعْدَ مَمَاتِكَ، وأَنْ يُدَافِعَ عَنْكَ مَعَيْتُهُ لَكَ.

وَتِلْكَ أُمُورٌ لا تُبَاشِرُ أَنْتَ مُدَافَعَتَهَا ، كَمَا أَنَّهُ قَدْ يَصلُكَ بِأَشْخَاصِ وَأَعْمَالِ يَنْفَعُكَ اتِّصالُكَ بِهِمْ.

وَفَوائدُ الأَصْحَابِ الصَّالحِينَ لا تُعَدُّ وَلا تُحْصَىٰ،



وَحَسْبُ المَرْءِ أَنْ يَعْتَبِرَ بِقَرِينِهِ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَىٰ دِينِ خَليله.

وَأُمَّا مُصَاحَبَةُ الأَشْرَارِ فَإِنَّهَا بِضِدٌ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا، وَهُمْ مَضَرَّةٌ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ عَلَىٰ مَنْ صَاحَبَهُمْ، وَشَرِّ وَهُمْ مَضَرَّةٌ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ عَلَىٰ مَنْ صَاحَبَهُمْ، وَشَرِّ عَلَىٰ مَنْ خَالَطَهُمْ، فَكَمْ هَلَكَ بِسَبِهِمْ أَقْوامٌ، وَكَمْ قَادُوا عَلَىٰ مَنْ خَالَطَهُمْ إِلَىٰ المَهَالِكَ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ وَمِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ »(١).

فَانْظُرْ - يَا بُنَيَّ - إِلَىٰ تِلْكَ الدُّرَرِ الَّتِي تَفَوَّهَ بِهَا عَالِمٌ مُبَجَّلٌ، وَأَعِدِ النَّظُرَ حَوْلَهَا، حِينَهَا تَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ قَرَّبَ لَكَ مُبَجَّلٌ، وَأَعِدِ النَّظُرَ حَوْلَهَا، حِينَهَا تَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ قَرَّبَ لَكَ الْحَدِيثَ، وَشَرَحَهُ شَرْحًا جَلِيلاً، فَمَا عَلَيْكَ - يَا بُنَيَّ - الحَديث، وَشَرَحَهُ شَرْحًا جَلِيلاً، فَمَا عَلَيْكَ - يَا بُنَيَّ - إِلاَّ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ هَذَا الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ إِلاَّ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ هَذَا الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ

⁽١) انظر «بَهْجَةُ قُلُوب الأَبرَار» لابْنِ سَعْدِي (ص٣١٣، ٣١٤) الحديث الثَّامن والسِّتُون.

كُلُّ مَا يَلْمعُ ذَهَبًا، فَلابُدَّ أَنْ يُخْتَبَرَ الذَّهَبُ بِالنَّارِ، وَيُخْتَبَرَ الذَّهَبُ بِالنَّارِ،

فَ لَا تَقْنَعْ بِأُوَّلِ مَ ا تَرَاهُ

فَاًوَّلُ طَالِعٍ فَحِدْ كَذُوبُ

ۅٛڤڽؚڶ؞

لا تَحْمَدَنَّ امْراً حَتَّىٰ تُجَرِّبَهُ

وَلا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرٍ تَجْرِيبٍ





الماً حب المالخ لا يشقى به جليسه

أَيْ بُنَيَّ، مَنْ صَاحَبَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ نَالَ مِنْ بَرَكَةِ صَلاحه، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ بِمَراحِلَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - وَهُ اللَّهِ - عَنِ النَّبِيِّ - عَنَالَىٰ - مَلائكَةً النَّبِيِّ - عَلَاللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - مَلائكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً، يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلَسًا فِيه ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِحْدَا اللَّهُمُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، بِأَجْنَحَتِهِمْ، حَتَّىٰ يَمْلُئُواْ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعدُوا إِلَىٰ السَّمَاء.

قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُو أَعْلَمُ بِهِمْ -: مِنْ

⁽١) رواهُ البُخَارِيُّ (٦٤٠٨)، ومُسْلمٌ (٢٦٨٩)، واللَّفْظُ لَهُ.



أَيْنَ جِئْتُمْ؟ ، فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، ويَسْأَلُونَكَ.

قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟. قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأُواْ جَنَّتِي؟، قَالُوا: لا ، أَيُ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأُواْ جَنَّتِي ؟!.

قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمَمَّا يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: لاَ ، قَالُوا: لَا ، قَالُ ، قَالُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأُواْ نَارِي؟! . قَالُ اللهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأُواْ نَارِي؟! . قَالَ اللهَا ، وَأَعْطَيْتُهُمْ وَيَعُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا اسْتَجَارُوا.

قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ، فِيهِمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ؛ هُمُ الْقَوْمُ لاَ



رِسَالَة إلى وَلَدِي مِرْجُ الْحُارِ الْحِرْمُ الْحِلْمُ الْحِرْمُ الْحِيْمُ الْحِيْمُ الْحِرْمُ الْحِيْمُ الْحِيْمُ الْحِيْمُ الْحِيْمُ الْحِيْمُ الْحِيْمُ الْحِيْمُ

يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

أَيْ بُنَيَّ، أَرَأَيْتَ ذَلِكَ الشَّقِيَّ ، كَيْفَ سَعِدَ بِمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، وَكَيْفَ غَفَرَ اللهُ لَهُ بِفَضْلِ مُصَاحَبَتِهِ لَهُمْ، وَاعْلَمْ -يَا بُنَيَّ -أَنَّهُ لا يَسْتَوْحِشُ مِنْ مُصَاحَبَتِهِ لَهُمْ، وَاعْلَمْ -يَا بُنَيَّ -أَنَّهُ لا يَسْتَوْحِشُ مِنْ مُصَاحَبَةِ المَاسِكَ وَعَلَمْ مِنْ مُصَاحَبَةِ المُصَاحِبَةِ الصَّالِحِينَ، وَيَأْنَسُ لِغَيْرِهِمْ إِلاَّ مَحْرُومٌ مِنَ الخَيْرِ.

وَمِنْ مَنْتُورِ الْحِكَمِ: «صُحْبَةُ الأَشْرَارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالأَخْيَارِ»(١).

أَيْ بُنَيَ، تَوَلَّ الصَّالِينَ وَأَحِبَّهُمْ فِي اللهِ، وَأَبْغِضْ دُخَلاءَ السَّوْءِ بِقَدْرِ قُرْبِهِمْ مِنَ الشَّرِّ وَبُعْدِهِمْ مِنَ الخَيْرِ ؛ دُخَلاءَ السَّوْءِ بِقَدْرِ قُرْبِهِمْ مِنَ الشَّرِّ وَبُعْدِهِمْ مِنَ الخَيْرِ ؛ تَسْمُ بِإِيمَانِكَ ؛ فَقَدْ قَالَ نَبِينَا _ عَلَيْ _ : «أَوْثَقُ عُرَىٰ تَسْمُ بِإِيمَانِكَ ؛ فَقَدْ قَالَ نَبِينَا _ عَلَيْ اللهِ _ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَى اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَل

⁽٢) حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٣/ ١٢٥)، والبَغَوِيُّ في «شَرح السُّنَّة» (٢) حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٣/ ١٢٥)، وحسَّنه الأَلْبَانِيُّ في «الصحيحة» (٩٩٨).



⁽١) «أَدَبُ الدُّنْيَا والدِّينِ» (١٨١).

الإِبِمَانِ: المُوَالاةُ فِي اللهِ، وَالمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»(١).

وَلَقَدُ أُحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

وَأَحِبُّ لِحُبِّ اللهِ مَنْ كَانَ مُعوَّمنًا

وَأَبْغِضْ - لِبُغْضِ اللهِ - أَهْلَ التَّـمَرُّدِ وَمَا الدِّينُ إِلاَّ الحُبُّ، وَالْبُغْضُ، والوَلا

كَذَاكَ الْبَرَا مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدي





الماحب السيخ

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَالْفَيْ اللهُ عَالَمُ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ؟

⁽١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٥٩٦).



يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمَشْرِكِينَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ - عَلَيْهِ - يَوَلِيّهُ - يَأْتِي السَّهُمُ فَيُومْنَى بِهِ ، فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يُضْرَبُ فَيُعْتَلُ، فَأَنْزَلَ الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : يُضْرَبُ فَيُقَتَلُ، فَأَنْزَلَ الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : فَيُصِيبُ أَخُدُ الله وَتَعَالَىٰ - : فَيُصِيبُ أَنْفُهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كَنَ اللهِ وَاسِعَةً كُنَّ اللهِ وَاسِعَةً كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولُكِكَ مَأُواهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٤٠ ﴾ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولُكِكَ مَأُواهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٤٠ ﴾ [النّسِاءُ: ٩٧].

فَانْظُرْ - يَا بُنَيَّ - كَيْفَ أَنَّ الْعَدَابَ الَّذِي حَلَّ بِالكَافِرِينَ قَدْ شَمِلَ أُنَاسًا مِنَ الْسُلْمِينَ بِسَبِب خُرُوجِهِمْ مَعَهُمْ، وَتَالله ، إِنَّا لَنَخْشَىٰ عَلَىٰ مَنْ يُجَالِسُ أُنَاسًا عُرِفُوا بِمُقَارَفَةِ المُعَاصِي كَالسُّخْرِيَّةِ مِنَ الصَّالِينَ، وَالتَّعَرُضِ بِمُقَارَفَةِ المُعَاصِي كَالسُّخْرِيَّةِ مِنَ الصَّالِينَ، وَالتَّعَرُضِ بِمُقَارَفَةِ المُعَاصِي كَالسُّخْرِيَّةِ مِنَ الصَّالِينَ، وَالتَّعَرُضِ لِمُقَارَفَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ لِبَنَاتِ المُسْلِمِينَ - مِنْ أَنْ تَشْمَلَهُمْ عُقُوبَةُ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ، وَالْعَاقِلُ - يَا بُنَيَّ - لا يُخَاطِرُ بِدِينِهِ.



رِسَالْقِ إِلَى وَالْدِي مِرْتِي الْمُؤْمِنِ اللَّهِ وَلَمْ يَعْلِي الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِ اللَّهِ اللَّالِي اللَّهِ السَالَةِ اللَّهِ اللَّالِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِي اللْمِلْمِلْلِيلِي اللَّهِ اللَّالِي اللَّالِي اللَّالِيلِي الل

وَكُلُّ خَلِيلٍ لِيْسَ فِي اللهِ وُدُّهُ

فَإِنِّي بِهِ في وُدِّهِ غَيْرُ وَاثِقِ





الصَّالِحُ وَغَيْرُ الصَّالِحِ لا يجتمعان

أَيْ بُنَيَّ، احْذَرْ أَنْ تُصَاحِبَ غَيْرَ الصَّالِحِ بِحُجَّةِ أَنَّ لَكَ أَصْحَابًا صَالِحِينَ؛ فإِنَّ الطَّبْعَ يَسْرِقُ، وَفِي هَذهِ الْحَالَة يَكُونُ مَوْقِفُ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ ضَعِيفًا؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مَنْ يَكُونُ مَوْقِفُ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ ضَعِيفًا؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مَنْ يَرُفُعُكَ إِلَى الْوَادِي؛ فَالجَنَّةُ يَرُفُعُكَ إِلَى الْوَادِي؛ فَالجَنَّةُ إِلَى الْوَادِي؛ فَالجَنَّةُ إِنَّى الْوَادِي؛ فَالجَنَّةُ إِلَى الْوَادِي؛ فَالجَنَّةُ إِنَّى الْوَادِي؛ فَالجَنَّةُ إِنَّى الْوَادِي؛ فَالجَنَّةُ وَلَى ذَلِكَ أَنَّ المَرْءَ قَدْ يُخْذَلُ إِنَّمَا حُفَّتُ بِالْكَارِهِ، زِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ المَرْءَ قَدْ يُخْذَلُ عَلَىٰ مُوالاتِه مَنْ يُحَارِبُ مَوْلاهُ ، وَيَتَّخذُهُ وَاليَّا !.

ولَكَ - يَا بُنَيَّ - أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ الضَّرَ الْعَظِيمِ الَّذِي أَلْ الضَّرِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَلْحَقَهُ الصَّاحِبُ السَّيِّئُ أَبُو جَهْلٍ بِأَبِي طَالِبٍ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَديثِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبِ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ



الله - عَنْكُ الله بن أبي الله - عَنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ الله بْن أبي أُلِي الله بن أبي أُمَيَّةَ ابْنِ المُغيرَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله - عَنْكُ الله عَمْ، قُلْ: لا إِلَهُ إِلاَّ الله كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله (١).

وَهَذَا - يَا بُنَيَّ - يَدُلُ عَلَىٰ خُطُورَةٍ صَدِيقِ السُّوْءِ.

وَمَا بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ إِلاَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، ولَنْ يَجْتَمعَ المَاءُ وَالنَّارُ.

⁽١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣٨٨٤)، ومُسْلمٌ (٢٤).



وسالمقال ولدي مرض في المخالق ؟

شَتَّانَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ (١)، فَإِنْ تُرِدْ

جَمْعًا، فَمَا الضِّدَّان يَجْتَمعَان

وَالله ، مَا اجْتَمَعًا ، ولَنْ يَتَلاقَيَا

حَتَّىٰ تَشِيبَ مَفَارِقُ (٢) الْغِرْبَانِ



⁽٢) اللَّفَارِقُ: جَمْعُ مُفْرِق - بزنة مَقْعَد وَمَجْلِس -، وهُو وسَطْ الرَّأْسِ الَّذي يُفْرَقُ فِيْهِ الشَّعْرُ .



⁽١)أيْ:بَعُدَ جِدًا مَا بَيْنَهُمَا

اختيارالأعاداب

Ø

أَيْ بُنَيَّ، اسَبُرْ أَحْوَالَ مَنْ تُصَاحِبُ قَبْلَ أَنْ تُصَاحِبُهُ، وَاكْشِفْ عَنْ أَخْلاقِهِ قَبْلَ اصْطِفَائِهِ، كَمَا قِيلَ: «اسْبُرْ تَخْبُرْ» (١). وقَيِلَ: «قَيِلَ: «قَيِلَ: «فَيُرْ» وَقَيِلَ:

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَينًا (٢)

مَا بَدَىٰ الْكِيْرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيد(٣)

وَمِنْ مَنْتُورِ الحَكَمِ: «اعْرِفِ الرَّجُلَ مِنْ فِعْلَهِ ، لا مِنْ كَلامِهِ، وَاعْرِفْ مَحَبَّتَهُ مِنْ عَيْنِهِ ، لا مِنْ لِسَانِهِ »(٤٠).

وَمَنْ لا يُحْسِنِ الاخْتِيارَ ، ظَنَّ النَّاسُ بِهِ مَا يُظَنُّ

بِصَاحِبِهِ ، كُمَا قِيلَ:

⁽٤) «أَدَب الدُّنْيَا والَّدِّين» (ص١٦٦).



⁽١) ﴿ أَوْبِ الدُّنْيَا وِالدُّينِ ﴾ (ص٢٦٦).

⁽٢)اللُّجَيْنُ –بالتُّصْغير– الفضُّة .

⁽٣) انظر «الفرائد في الأمثال» للخولي (ص٢٨١).

« الإِنْسَانُ مَوْسُومٌ بِسِيماءِ مَنْ قَارَبَ، وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِ أَفَاعِيلُ مَنْ صَاحَبَ » (١).

وَقَالَ بَعْضُ الأَدْبَاءِ: «يُظَنُّ بِالمَرْءِ مَا يُظَنُّ بِقَرِينه »(٢).

عَنِ المُرْءِ لا تَسْأَلْ ، وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارَنِ يَقْتَدِي إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيارَهُمُ

وَلا تَصْحِبِ الأَرْدَىٰ فَتَرْدَىٰ مَعَ الرَّدِي (٣)

قَالَ الْمَاوِرْدِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿ فَلَزِمَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ السَّوْءِ ، وَيُجَانِبَ أَهْلَ الْخَسَا - أَنْ يَتَحَرَّزَ مِنْ دُخَلاءِ السَّوْءِ ، وَيُجَانِبَ أَهْلَ الرَّيْبِ ؛ لِيَكُونَ مُوْفُورَ الْعِرْضِ ، سَلِيمَ الْغَيْب ، فَلا يُلامُ الرَّيْب ؛ لِيَكُونَ مُوْفُورَ الْعِرْضِ ، سَلِيمَ الْغَيْب ، فَلا يُلامُ بِملامة غَيْرِه ؛ وَلِهَذَا قِيلَ : التَّثَبُّتُ وَالارْتِيَاء ، وَمُدَّاوَمَةُ اللهَ خَتِيار وَالاَبْتِلاء مُتَعَذِّر ، بَلْ مَفْقُودٌ ، وَقَدْ ضَرَب ذُو الله خَتِيار وَالاَبْتِلاء مُتَعَذِّر ، بَلْ مَفْقُودٌ ، وَقَدْ ضَرَب ذُو



⁽١) ، (٢) «أَدَب الدُّنْيَا والدِّين» ، (ص١٦٧).

⁽٣) «أَدَب الدُّنْيَا والدِّين» (ص١٦٧).

الرُّمَّةِ مَثَلاً بِالمَاءِ فِيمَنْ حَسُنَ ظَاهِرُهُ، وَخَبُثُ بَاطِنُهُ، فَقَالَ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ

وَإِنْ كَانَّ لَوْنُ المَاءِ أَبْيَضَ صَافِيا

وَنَظَرَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ إِلَىٰ رَجُلِ سَوْءِ حَسَنِ الْوَجْهِ، فَقَالَ: أَمَّا الْبَيْتُ فَحَسَنٌ، وَأَمَّا السَّاكِنُ فَرَدِيءٌ، فَأَخَذَ جَحْظَةُ (١) هَذَا المعْنَىٰ، فَقَالَ:

رَبِّ مَا أَبْيَنَ التَّبَايُنَ فِيهِ

مَنْزِلٌ عَامِرٌ وَعَقْلٌ خَرَابُ!

وَأَنْشَدَ فِي بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ:

لا تَرْكَنَنَّ إِلَىٰ ذِي مَنْظُرٍ حَسَنٍ

فَرُبُّ رَائِعَةٍ قَدْ سَاءَ مَخْبَرُهَا

⁽١) جَعْظَةُ: لَقَبُ أَحِمَدَ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ يَعْيَىٰ بْنِ خَالدِ بْنِ بَرْمَكَ ، كَانَ شَاعِرًا أَدِيبًا جَاحِظَ العَيْنَيْنِ ، ت: سنة ٣٢٤ هـ.



رسَالَة إلى وَلَدِي مِرْتُي فُونَا إِنْ مِنْ اللهِ عِلْمَ مِنْ اللهِ عِلْمَ اللهِ عِلْمَ اللهِ عِلْمَ اللهِ عِلْمَ اللهِ عِلْمَ اللهِ عِلْمُ اللهِ عَلَيْهِ عِلْمُ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ عِلْمُ اللهِ عِلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ عِلْمُ المُعِلَّمِ اللهِ عِلْمُ اللهِ عِلْمُ اللّهِ عِلْمُ المُعِلَّمِ اللّهِ عِلْمُ اللّهِ عِلْمُ المِنْ المِنْ المِنْ اللهِ عِلْمُ اللّهِ عِلْمُ المِنْ اللهِ عِلْمُ اللهِ عِلْمُ اللهِ عَلِي اللّهِ عِلْمُ اللْعِي عِلْمُ عِلْمُ اللّهِ عِلْمُ الللّهِ عِلْمُ اللّهِ عِلْمُ اللّهِ

مَا كُلُّ أَصْفَرَ دينَارٌ لصُفْرَتهِ

صُفْرُ الْعَقَارِبِ أَرْدَاهَا وَأَنْكَرُهَا (١)

ثُمَّ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الحُكَمَاءِ: مَنْ لَمْ يُقَدِّمِ الامْتِحَانَ قَبْلَ الخُكَمَاءِ: مَنْ لَمْ يُقَدِّمِ الامْتِحَانَ قَبْلَ الأُنْسِ قَنْمَرَتْ مَوَدَّتُهُ نَدَمًا.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلُغَاءِ: مُصَارَمَةٌ قَبْلَ اخْتِبَارُ، أَفْضَلُ مِنْ مُؤَاخَاةٍ عَلَىٰ اغْتِرَارِ.

وَهَالَ بَعْضُ الأَّدَبَاءِ: لا تَثِقْ بِالصَّدِيقِ قَبْلَ الخِبْرَةِ، وَلا تَقَعْ بِالْعَدُوِّ قَبْلَ الخِبْرَةِ، وَلا تَقَعْ بِالْعَدُوِّ قَبْلَ الْقُدْرَة.

وَقَالَ بِعُنْنَ الشُّعُرَاءِ:

لا تَحْمَدُنَّ امْرأً حَتَّىٰ تُجَرِّبَهُ

وَلاَ تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيبِ

فَحَمْدُكَ المرْءَ مَا لَمْ تَبْلُهُ خَطَأً

وَذَمُّهُ بَعْدَ حَمْدٍ شَرُّ تَكْذِيبِ

(١) أَرْدَاهَا: مِن الردَىٰ أَي : أَسْرَعُهَا إِهْلاكًا، وأَخْبَتُهَا سُمًّا.



وَإِذَا قَدْ لَزِمَ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ سَبْرُ الإِخْوَانِ قَبْلَ إِخَاتُهِمْ، وَخَبْرَةُ أَخْلاقهمْ قَبْلَ اصْطفَاتُهم (١).

وَاخْتِيارُ الصَّاحِبِ - يَا بُنَيَّ - لا يَكُونُ في أَشْهُرٍ، فَضْلاً عَنْ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، بَلْ إِنَّ ذَلِكَ لَيَحْتَاجُ إِلَىٰ سَنَوَات، أَلَيْسَ مِنَ الْحَرْمُ أَنْ تَطُولَ فَتْرَةُ الاَحْتِبَارِ مَعَ التَّحَفُّظُ وَتَرْكِ السَّترْسَالِ؛ لأنَّ بَعْضَ النَّاسِ مِثْلُ كُتُبِ التَّفَاسِيرِ، وَبَعْضَهُمْ مِثْلُ كُتُب التَّفَاسِيرِ، وَبَعْضَهُمْ مِثْلُ كُتُب اللَّهَ مَثْلُ كُتُب اللَّهُمْ مِثْلُ كُتُب اللَّهُورِ شَرِّهَا، فَكَذَلِكَ الأَصْحَابُ أَلَىٰ قَرَاءَةً لَقُديَّةً، وَبَعْضُهُا تُهْمَلُ لظُهُورِ شَرِّهَا، فَكَذَلِكَ الأَصْحَابُ المُصَابِ أَنْ فَكَذَلِكَ الأَصْحَابُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مِنَ الْحَرْمِ الْاخْتِبَارُ قَبْلَ الْاخْتِيارِ مَا رَوَىٰ خُرَاشَةُ بْنُ الْحُرِّ - رَحِمَهُ الله - قَالَ: «شَهِدَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ - فَطْفُ -، فقالَ لَهُ عُمرُ: إِنِّي

^{· (}١) «أَدَب الدُّنْيَا والدِّين» (ص١٦٧، ١٦٨).



لَسْتُ أَعْرِفُكَ، ولا يضُرُّكَ أَنِّي لا أَعْرِفُكَ، فَائْتِنِي بِمَنْ يَعْرِفُكَ، فَائْتِنِي بِمَنْ يَعْرِفُكُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - . قَالَ: بَأَيِّ شَيْءِ تَعْرِفُهُ؟!.

قَالَ: بِالْعَدَالَةِ. قَالَ: هُوَ جَارُكَ الأَدْنَى، تَعْرِفُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَمُدْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ؟.

قَالَ: لا. قَالَ: فَعَامَلَكَ بِالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِمَا عَلَىٰ الْوَرَعِ؟. قَالَ: لا. قَالَ: فَصَاحَبَكَ فِي السَّفرِ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ؟ قَالَ: لا. قَالَ: فَلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ؟ قَالَ: لا. قَالَ: فَلَسْتَ تَعْرِفُهُ »(١).

وَهَذَا - يَا بُنَيَّ - يَدُلُّكَ عَلَىٰ عِنَايَةِ السَّلَفِ فِي اخْتِبَارِ الرِّجَالِ، وَسُمُوِّ أَنْفُسِهِمْ، وَقُوَّةِ شَخْصِيَّاتِهِمْ، وَقُوَّةِ شَخْصِيَّاتِهِمْ، وَقُوَّةِ شَخْصِيَّاتِهِمْ، وَتَمَيُّزِهِمْ بِالْعَزْمِ وَالْحَزْمِ فِي كُلِّ أُمُورِهِمْ ﴿ أُولْئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدهْ ﴾ [الأنْعَام: ٩٠].

⁽١) صَحِيح، أَخْرَجَهُ العقيليُّ (٣٥٤)، والبَيْهَقيُّ (١٠/١٠)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الإِروَاء» (٢٦٣٧).



رسَالُمَاكُ وَلَدِي مِنْ يُرْتُ الْمُنْ الْحِرْنِينِ ؟

قَالَ أَحَدُهُمْ:

لا يُعْسِجِسَنُكُ صَاحِبٌ لا

حَــتًى تَبَـيَّنَ مَـا طِبَـاعُـهُ مَــاذَا يَضَنُ (١) به عَلَيْـ

مك ؟ وَمَا يَجُودُ بِهِ اتِّسَاعُهُ؟

أو اللذي يَقْدوي عَليْد

به وَمَا يَضِيقُ بِهِ ذِرَاعُهُ هُ؟ وَإِذَا الزَّمَانُ رَمَى صِفَا اللَّهُ مَانُ رَمَى صِفَا

تك بِالحَوَادِثِ، مَا دِفَاعُهُ؟ فَلَهُ الْأَتَفَاءُ الْأَلْمُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّا اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

عُ هَوَى أَخِيكَ، وَمَا اتِّضَاعُه

وَفِيمًا يَأْتِي مِنَ الصَّفَحَاتِ الحَدِيثُ عَنْ بَعْضِ صِفَاتِ

⁽١) يَضَنُّ: يَبخَل.



الصَّاحِبِ الصَّالِحِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا(١)، وَبَعْضُ الخِلالِ المُوْجودَةِ فِي دُخَلاءِ السَّوْءِ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.



(١) لا تَحْسَبُ أَنَّكَ سَوَف تَجدُ أَخَاكَ الصَّالِحَ كَمَا كُنْتَ تَظُنُّ سَالًا مِنَ العُيُوب، بَلْ حَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْ أَخِيِكَ أَكْثُرُهُ ، كَمَا قِيْلَ: ﴿ إِذَا كَانَ لَكَ أَكْثُرِي ، فَتَجَافَ عَنْ أَيسَرِي، ﴿ .

وَقَالَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ - رَحَمَهُ الله -: « مَا كَشَفْتُ أحدًا - قطُّ - إِلا وجَدتُهُ دُونَ ما كُنتُ أَظُنُ ».

هُمُ النَّاسُ والدُّنيا ولابُدَّ مِنْ قَذَى يلمُّ بعَينِ أَوْ يُكَدَّر مَيشْربا ومِن قِلَّةِ الإِنصَافِ أَنَّكَ تَبْتَغِي الْ مُهَذَّبَ في الدُّنيا وَلَسْت المُهنذَّبَا



بعض مفات المالح المالح ١ - العقل

B

أَيْ بُنَيَّ، عَلَيْكَ بِمُصَاحَبَةِ الْعَاقِلِ مِنَ النَّاسِ؛ لأَنَّ الْعَاقِلِ مِنَ النَّاسِ؛ لأَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرِّ؛ فَهُوَ مَطْبُوعٌ عَلَىٰ حُبِّ الْمُكَارِمِ الْعَاقِلَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرِّ؛ فَهُوَ مَطْبُوعٌ عَلَىٰ حُبِّ الْمُكَارِمِ مِنْ الأَخْلاقِ وَالأَعْمَالِ، شَديدُ النُّفُورِ مِنْ سَفَاسِفِهَا.

وَمِنْ عَلامَةِ الْعَاقِلِ الظَّاهِرَةِ: «حُسْنُ السَّمْتِ، وَطُولُ الصَّمْتِ» وَطُولُ الصَّمْتِ» (١).

وَيُعَرَّفُ الْعَاقِلُ بِأَنَّهُ: مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ أَمْرَهُ، وَسَمَا بِنَفْسِهِ إِلَىٰ نَيْلِ رِضَاهُ.

قَالَ الْحَسَنُ - رَحِمَهُ اللهُ - : «مَا تَمَّ دِينُ عَبْدٍ - قُطُّ - حَتَّىٰ يَتمَّ عَقْلُهُ »(٢).

⁽٢) «رَوْضَةُ الْعُقَلاء» (ص٥٢).



⁽١) « رَوْضَةُ الْعُقَلاء » (ص١٦).

وَقَالُ ابْنُ حبَّان هِي وَصْفِ الْعَاقِلِ: «الْعَاقِلُ لا يُقَاتِلُ مِنْ غَيْرِ عُدَّة ، وَلا يُصَارِعُ بِغَيْرِ مُحَجَّة ، وَلا يُصَارِعُ بِغَيْرِ قُوَّة ؛ لأَنَّ بِالْعَقْلِ تَحْيَا النَّفُوسُ، وَتُنَوَّرُ الْقُلُوبُ، وَتُمْضَىٰ الْأُمُورُ، وَتَعْمَرُ الدُّنْيَا.

وَالْعَاقِلُ يَقِيسُ مَا لَمْ يَرَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا قَدْ رَأَى، وَيُضِيفُ مَا لَمْ يَصِبْ وَيُضِيفُ مَا لَمْ يَصِبْ مِنْهَا إِلَىٰ مَا قَدْ سَمِعَ، وَمَا لَمْ يُصِبْ مِنْهَا إِلَىٰ مَا قَدْ سَمِعَ، وَمَا لَمْ يُصِبْ مِنْهَا إِلَىٰ مَا قَدْ أَصَابَ، وَمَا بَقَيْ مِنْ عُمْرِهِ بَمَا فَنِي، وَمَا لَمْ يَنَلْ مِنْهَا بِمَا قَدْ أُوتِي، وَلا يَتَّكُلُ عَلَىٰ المَالِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَنَلْ مِنْهَا بِمَا قَدْ أُوتِي، وَلا يَتَّكُلُ عَلَىٰ المَالِ، وَإِنْ كَانَ فِي تَمَامُ الْحَالُ؛ لأَنَّ المَالَ يَحِلُ وَيَرْتَحِلُ، وَالْعَقْلُ يُقِيمُ وَلا يَبْرَحُ، وَلَوْ أَنَّ الْعَقْلُ يُقِيمُ وَلا يَبْرَحُ، وَلَوْ أَنَّ الْعَقْلُ يُقِيمُ الشَّجَرِ، وَلَوْ أَنَّ الْعَقْلُ شَجَرَةٌ، لَكَانَت مِنْ أَحْسَنِ الشَّجَرِ، وَلَوْ أَنَّ الْعَقْلُ شَجَرَةٌ، لَكَانَت مِنْ أَحْسَنِ الشَّجَرِ، كَمَا أَنَّ المَسْرَلُوْ كَانَ ثَمَرَةً، لَكَانَ مَنْ أَكُرَمُ الشَّمَرِ» (١).

أَيْ بُنَيَّ، إِذَا صَاحَبْتَ ، فَلا تُصَاحِبْ إِلاَّ مَنْ كَانَ عَقْلُهُ أَكْبَرَ مِنْ عِلْمِهِ، فَكَمْ رأيْنَا مِنْ أُنَاسٍ عُقُولُهُمْ دُونَ



⁽١) ((رُوْضَةُ الْعُقَلاء) (ص٢٥).

علْمهمْ، فَلَمْ يُحْسنُوا تَصْريفَهُ، ولَمْ يَضَعُوهُ في مَوْضعه، وَمنْ طَريف مَا يُذْكُرُ أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ وَالْخَليلَ اجْتَمَعَا ثَلاثَةَ أَيَّامِ يَتَحَاوَرَان، يَتَجَارَيَان، فَلَمَّا افْتَرَقَا، قيل لابْن الْمَقَفَّع: كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ فَقَالَ: وَجَدْتُ رَجُلاً عَقْلُهُ زَائِدٌ عَلَىٰ علمه. وَسُئِلَ الْخَلِيلُ عَنْهُ، فَقَالَ: وَجَدْتُ رَجُلاً علْمُهُ فَوْقَ عَقْله. قَالَ بَعْضُ الْعُلُمَاءِ: لَقَدْ صَدَقَا؛ فَإِنَّ الخَليلَ مَاتَ حَتْفَ أَنْفه (١)في خُصِّ (٢)، وَهُوَ أَزْهَدُ خَلْق الله، وَتَعَاطَىٰ ابْنُ الْمُقَفَّعِ مَا كَانَ مُسْتَغْنيًا عَنْهُ حَتَّىٰ قُتلَ شَرَّ قِتْلَةٍ »(٣). قُلْتُ: وَمُرَادُ أَحَد الْعُلَمَاء منْ قَوْله أَنَّ الْخَليلَ مَاتَ منْ علَّةِ لا منْ عَدَاوَةِ، وقَدْ عَاشَ زَاهدًا، بِمَعْنَىٰ أَنَّ عَقْلَهُ كَانَ قَائِدًا لعلْمه، وَأَمَّا ابْنُ الْمُقَفَّع فَكَانَ نَقْصٌ عَقْله وَبَالاَّ

⁽٣) «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاء» (٢٤/١).



⁽١) مَاتَ حَتْفَ أَنْفِه أَيْ: عَلَىٰ فَرَاشِهِ مِنْ غَيْرِ قَتْل ، وَلا ضَرْب، وَلا غَرَق، وَلا غَرَق، وَلا غَرَق، وَلا غَرَق، وَلا غَرَق، وَلا خَرَق، وَخَصَّ الأَنْف، لأَنَّ الرُّوحَ تَخْرُجُ مِنْهُ بِنَتَابُعِ النَّفُس . (٢) الخُصُّ بِالضَّمِّ - اللَّيْتَ يُسَقَّفُ بِخَشَبة ، والجَمْعُ خِصَاصٌ وَخُصُوصٌ.

عَلَيْهِ، وَكَانَ عِلْمُهُ سُلَّمًا للزُّنْدَقَةِ (١)؛ فَقُتِلَ شَرَّ قِتْلَةٍ.

أَيْ بُنَيَّ، صُحْبَةُ الْعُقَلاءِ لِقَاحُ الْعُقُولِ، كَمَا أَنَّ مُصاحَبَةَ قَليلِ الْعَقْلِ ثَمَرَتُهُ إِلَىٰ النَّقْصِ.

قَالَ ابْنُ حِبَّانَ - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿ وَالَّذِي يَزْدَادُ بِهِ الْعَاقِلُ مِنْ نَمَاءِ عَقْلِهِ هُوَ التَّقَرُّبُ مِنْ أَشْكَالِهِ، وَالتَّبَاعُدُ عَنْ أَضْداده ﴾ (٢).

وَقَالَ الإمامُ شُعْبَةُ: «عُقُولُنَا قَلِيلَةٌ، فَإِذَا جَلَسْنَا مَعَ مَنْ هُوَ أَقَلُ عَقْلاً مِنَّا ، ذَهبَ ذَلِكَ الْقَلِيلُ، وَإِنِّي لأَرَىٰ الرَّجُلَ

(١) جَاءَ في «السّير» للذَّهبيّ (٢٠٨/٦): «رُوِيَ عَنِ المهديّ قَالَ: مَا وَجَدْتُ كَتَابَ زَنْدَقَة إِلا وَأصْلُهُ ابْنُ المُقَفَّع».

وذَكَرَ الذَّهبيُّ - أَيْضًا - فِي «السِّيَرِ» (٢٠٨/٦): «عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ أَحَدُ البُلغاء، وَرَأْسُ الكُتَّابِ وَأُولِي الإِنْشاء، مِنْ نُظَراءِ عَبْدِ الْمُقَفِّعِ أَحَدُ البُلغاء، وَرَأْسُ الكُتَّابِ وَأُولِي الإِنْشاء، مِنْ نُظراءِ عَبْدِ الخَميد الكَاتب، وكانَ مِنْ مَجُوسِ فَارِسَ، فَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدِ الأَمَيرَ عِيسى عَمُّ السَّفَّاح، وكَتَبَ لَهُ وَاختص به، قَالَ الهَيْثَمُ بُنُ عَدَيٍّ: قَالَ عَيسى عَمُّ السَّفَّاح، وكَتَبَ لَهُ وَاختص به، قَالَ الهَيْثَمُ بُنُ عَدَيٍّ: قَالَ لَهُ: أُرِيدُ أَنْ أُسُلمَ عَلَىٰ يَدَيْكَ بِمَحْضَرِ الأَعْيَان، ثُمَّ قَعَدَ يَأْكُلُ ويُزَمْزِمُ لِهُ: المُجُوسِيَّةِ. فَقَالَ: مَا هَذَا؟! قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ غَيْرِ دِينٍ »!.

(٢) (رُوْضَةُ الْعُقَلاء) (ص٢٥).



يَجْلسُ مَعَ مَنْ هُوَ أَقَلُّ عَقْلاً منْهُ فَأَمْقُتُهُ »(١).

أَيْ بُنَيَّ، إِنَّهُ قَدْ قِيلَ: « ثَمَرةُ الْعَقْلِ حُسْنُ الاخْتِيارِ، وَدَلِيلُهُ صُحْبَةُ الأَخْيَارِ» (٢). وَلا أَرَىٰ ثِمَارُكَ إِلاَّ قَدْ حَانَ قَطَافُهَا!.

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخذًا خَليلاً

فَلا تَشقَنَّ بكُلِّ أَخَى إِخَاء

فَإِنْ خُيِّرْتَ بَيْنَ النَّاسِ فَالْصَقَ

بِأَهْلِ الْعَقْلِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ

فَإِنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ لَهُ إِذَا مَا

تَفَاضَلَت الْفَضَائلُ منْ كَفَاءِ(٣)(١)

⁽٤) ﴿ أَدَبُ الدُّنْيَا والدّين ﴾ (١٦٨٠).



⁽١) «رَوْضَةُ الْعُقَلاءِ» (ص٢٤، ٢٥).

⁽٢) ﴿ فَرَائِدُ الْخَرَائِدِ فِي الأَمثَالِ ﴾ (ص١٣٢).

⁽٣) كَفَاءَ الشَّيْءَ - بَالْكَسْر- مَا يَكُونُ مُكَافِئًا وَمُسَاوِيًا لَهُ.

٢ - الدِّينُ

أَيْ بُنَيَّ، صَاحِبْ أَخَا الدِّينِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ مَنْهُ إِلاَّ كُلَّ خَيْرٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَرَكَةَ صُحْبَتِه وَمَحَبَّتِكَ لَهُ فِي كُلَّ خَيْرٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَرَكَةَ صُحْبَتِه وَمَحَبَّتِكَ لَهُ فِي اللهِ إِلاَّ أَنَّكَ تُحْشَرُ مَعَهُ، لَكَانَ ذَلَكَ مِنْ أَعْظَمِ الشَّرَف، وَلَوْ قَطَعْتَ الأَرْضَ حَافِيًا بَحْثًا عَنْ ذَلَكَ الصَّاحِب، لَكَانَ قَليلاً. قَطَعْتَ الأَرْضَ حَافِيًا بَحْثًا عَنْ ذَلَكَ الصَّاحِب، لَكَانَ قَليلاً. فَفِي «الصَّحَيحَيْنِ» (١) مِنْ حَديثَ عَبْد الله بْنِ فَفِي «الصَّحيحيثِنِ» (١) مِنْ حَديثَ عَبْد الله بْنِ مَسْعُود و وَظَيْنِه وَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ الله و عَيْقِيهِ وَمُعَلَيْهِ مَنْ فَوْمًا ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، كَيْفَ تَرَىٰ فِي رَجُلٍ أَحَبُ قَوْمًا ، وَلَا يَلْحَقُ بِهِمْ؟.

قَالَ رَسُولُ الله - عَلَيْكَ - : «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبُ». وَهَذَا الحديثُ - يَا بُنَيَّ - بِشَارَةٌ عَظيمةٌ لِهَذهِ الأُمَّة، فَمَا فَرِحَ الْمُسْلَمُونَ بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهَذهِ الْبِشَارَةِ.

⁽١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦١٦٩)، وَمُسلِم (٢٦٤٠)، وَنَحْوُهُ عِنْدَهُمَا مِنْ حَدِيْثُ أَبِي مُوسِىٰ مَرْفُوعًا .



فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - وَلَيْكُ -: أَنَ مَنَى السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَىٰ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ - عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟. قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟».

قَالَ: لا شَيْءَ، إِلاَّ أَنِّي أُحِبُ اللهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ - عَلِيلَةُ-: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ - عَلِيلَةً -: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسٌ: فَانَا أُحِبُ النَّبِيَ - عَلَظَة -، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ وَعُمَلَ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ - يَا بُنَيَّ - قَدْ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ صَالِحًا حُشِرَ مَعَهُ؛ فَانْظُرْ صَالِحًا حُشِرَ مَعَهُ؛ فَانْظُرْ - يَا بُنَيَّ - لِنَفْسك، وَقَدِّمْ لَهَا مَا يَسُرُّكُ غَدًا.

⁽١) رَوَاهُ البخاريُّ (٣٦٨٨)، وَمُسْلِمٌّ (٢٦٣٩).



عَاشِرْ أَخَا الدِّينِ؛ كَي تَحْظَىٰ بِصُحْبَتِهِ فَالطَّبْعُ مُكْتَسَبٌ مِنْ كُلِّ مَصْحُوبِ كَالرِّيحِ آخِذَةً مِصَّا تَمُرُّبِهِ كَالرِّيحِ آخِذَةً مِصَّا تَمُرُّبِهِ نَتْنًا مِنَ النَّتْنِ أَوْ طِيبًا مِنَ الطِّيبِ





٣- حسن المنتقد

أَيْ بُنَيَّ، لِيَكُنْ مَنْ تُصَاحِبُ حَسَنَ الْمُعْتَقَدِ، سُنِيًا، سَلَفِيًّا، وقَّافًا عِنْدَ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، غَيْرَ مَعْرُوف بِبِدْعَةً، عَيْرَ مَعْرُوف بِبِدْعَةً، غَيْرَ مُجَالس لأَهْلها.

فَإِذَا كَانَ مُبْتَدِعًا، أَوْ عُرِفَ بِمُجَالَسَةِ الْمُبْتَدِعَةِ وَالتَّرَدُّدِ عَلَيْهِمْ - فَالْبُعْدُ عَنْهُ عَيْنُ كَمَالِكَ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ لَدُن عَلَيْهِمْ - فَالْبُعْدُ عَنْهُ عَيْنُ كَمَالِكَ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ لَدُن السَّلَفِ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا عَلَىٰ الْحَذَرِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُمْ ، وَمِنْ مُجَالَسَتِهِمْ .

قَالَ الإَمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللهُ -: «الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ مَنْ أَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ وَأَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الْكَلامَ وَالْجُلُوسَ مَعَ أَهْلِ الزَّيْغِ» (١).

⁽١) «الإِبانَة» لابْنِ بَطَّةَ (٢/٢٧٤).



وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي بَيَانِ أَقْسَامِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ الْحُالَطَةُ (١):

«القسسمُ الرَّابِعُ – مَنْ مُخَالَطَتُهُ الْهَلاكُ كُلُّهُ، وَمُخَالَطَتُهُ الْهَلاكُ كُلُّهُ، وَمُخَالَطَتُهُ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ السُّمِّ، فَإِنِ اتَّفَقَ لآكِلهِ ترْيَاقٌ (٢)، وَمُخَالَطَتُهُ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ السُّمِّ، فَإِن اتَّفَقَ لآكِلهِ ترْيَاقٌ (٢)، وَإِلاَّ فَأَحْسَنَ اللهُ فِيهِ الْعَزَاء، وَمَا أَكْثَرَ هَذَا الضَّرْبَ (٣) فِي النَّاسِ!، لا كَثَرَهُمُ اللهُ، وَهُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلالةِ».

وَقَالَ ابْنُ بَطَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿ فَاللهَ اللهُ حَمَّهُ اللهُ مَعْشَرَ اللهُ اللهُ حَمَّنُ ظَنَّهِ بِنَفْسِهِ، وَمَا الْمَسْلَمِينَ لَا يَحْمِلَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ حُسْنُ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ، وَمَا عَهِدَهُ مِنْ مَعْرِفَتِه بِصِحَّة مَذْهَبِهِ - عَلَىٰ المُخَاطَرَة بِدَينِهِ فِي عَهِدَهُ مِنْ مَعْرِفَتِه بِصِحَّة مَذْهَبِهِ - عَلَىٰ المُخَاطَرَة بِدَينِهِ فِي مُجَالَسَة بَعْضِ أَهْلَ هَذَه الأَهْوَاء، فَيَقُولُ: أَدْخُلُهُ ؟ لَأُنَاظِرَهُ مُجَالَسَة بَعْضٍ أَهْلَ هَذَه الأَهْوَاء، فَيَقُولُ: أَدْخُلُهُ ؟ لَأُنَاظِرَهُ أَوْ لا أَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَذْهَ بَهُ ؟ فَإِنَّهُمْ أَشَدُ فِتْنَةً مِنَ الدَّجَّالِ،

⁽٣) الضَّرْب- بالفَتْح- : الصِّنْف، وَالْجَمْعُ أَضْرُب، وَضُرُوب



⁽١) «بَدَائعُ الفَوَائدُ» (٢/٥٧٢).

⁽٢) التِّرْيَاقِ- بالكَسْرِ- : دَوَاءُ السُّمُوم .

وَكَلامُهُمْ أَلْصَقُ مِنَ الجَرَبِ، وَأَحْرَقُ لِلْقُلُوبِ مِنَ اللَّهَبِ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ كَانُوا يَلْعَنُونَهُمْ وَيَسُبُّونَهُمْ، فَجَالَسُوهُمْ عَلَىٰ سَبيلِ الإِنْكَارِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ، فَمَا زَالَتْ بِهِمُ فَجَالَسُوهُمْ عَلَىٰ سَبيلِ الإِنْكَارِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ، فَمَا زَالَتْ بِهِمُ الْبَاسَطَةُ، وَخَفِيُّ المَكْرُ وَدَقِيقُ الْكُفْرِ، حَتَّىٰ صَبَوْا إِلَيْهِمْ (١).

ا قَاعِدَةٌ فِي مَعْرِفَةِ حُسُنِ الْمُتَقَدِ:

أَيْ بُنَيَّ، أَهْلُ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ يَتَكَاتَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ مَنْ أَمُ وَهِم إِلاَّ شَيْءً وَالأَهْوَاءِ يَتَكَاتَمُونَ كُلَّ شَيْءً مَنْ عَامَّةً أُمُ ورِهِم إِلاَّ شَيْعًا وَاحِدًا، هَيْهَاتَ أَنْ يَخْفَىٰ عَنْ عَامَّةً النَّاسِ، فَضْلاً عَنْ كُلِّ ذِي لُبٍّ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ هِي: الأُلْفَةُ. النَّاسِ، فَضْلاً عَنْ كُلِّ ذِي لُبٍّ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ هِي: الأُلْفَةُ.

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْرِفَ الرَّجُلَ الْمُبْتَدِعَ، وَكَذَلِكَ الحزْبِيُّ الْمُتَسَتِّرُ بِهَذَهِ الْقَاعدَةِ الذَّهَبِيَّة (٢).

⁽٢) مُسْتَنَدُ هَذه القَاعِدَة حَديثُ «الأروَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدةٌ، فَمَا تَعارَفَ مَنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَف ». وَسَيَأْتِي تَخْرِيجُهُ، وَالحَديثُ عَن شَيْءٍ مِن شُروحِهِ فِي الحَديثِ عَن «الألْفَةِ»، إِنْ شَاءُ اللهُ.



⁽١) (الإِبَانَة) (٢/٧٠).

قَالَ الأَوْزَاعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: « مَنْ سَتَرَ عَلَيْنَا بِدْعَتَهُ ، لَمْ تَخْفَ عَلَيْنَا بِدْعَتَهُ » [1].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بِنْ عَبِيدٍ الْعَلايِيُّ:

« يَتَكَاتَمُ أَهْلُ الأَهْوَاءِ كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ التَّــآلُفَ وَالصُّحْبَةَ » (٢).

« وَلَمَّا قَدِمَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - الْبَصْرَةَ ، جَعَلَ يَنْظُرُ فِي أَمْرِ الرَّبِيعِ - يَعْنِي ابْنَ صَبِيحٍ - ، وقَدْرِهِ عِنْدَ النَّاسِ ؛ سَأَلَ: أَيُّ شَيْءٍ مَذْهَبُهُ ؟ .

قَالُوا: مَا مَذْهُبُهُ إِلاَّ السُّنَّةُ.

قَالَ: مَنْ بطَانَتُهُ؟.



⁽١) «الإِبَانَةُ» (٤٧٩/٢).

⁽٢) «الإِبَانَةُ» (٢/٤٧٩).

رسالخال ولدي مرت والمراجع والمرادي والم

قَالُوا: أَهْلُ الْقَدَرِ.

قَالَ: هُوَ قَدَرِيٌّ »(١).

وَقَالَ الْبُرْبُهَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ جَالِسًا مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ فَحَذِّرْهُ، وعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ بَعْدَمَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوَى "(٢).



⁽٢) «شَرحُ السُّنَّة» (ص١٢١).



⁽١) «الإِبَانَةُ» (٢/٣٥٢).

\$ - التَّقُوكي

صَاحِبْ مَنْ يَتَّقِي الله؟ فَإِنَّ صُحْبَةَ مَنْ هَذَا حَالُهُ غَنِيمَةٌ، تُذكِّرُكَ بِاللهِ رُؤْيَتُه، وَيَزِيدُ في عَمَلِكَ كَلامُه، وَيُرَغِّبُكَ في الآخرة عَمَلُهُ.

وَقَدْ أَرْشُدَ النَّبِيِّ - عَلَيْكُ - إِلَىٰ صُحْبَةِ التَّقِيِّ مِنَ النَّاسِ. فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُيدُريِّ - خَلَيْكَ - : أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْكُ - قال: «لا تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، ولا يَأْكُلْ طعامَكَ إِلاَّ تَقِيُّ» (١).

قَالَ الخَطَّابِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- مُعلِّقًا علَىٰ قَوْلِهِ - عَلَيْكُ-: «ولا يأكُلْ طعامَكَ إلاَّ تَقِيُّ»: «إِنَّما جاءَ هذا في طَعَامِ الحَاجَة؛ وذَلِكَ لانَّ الله - سُبْحَانَهُ اللهَ عُونَ طَعَامِ الحَاجَة؛ وذَلِكَ لانَّ الله - سُبْحَانَهُ

⁽١) حَسَنٌ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣٨٠/٣)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٣٩٥)، وَحَسَّنَهُ الأَلبْانِيُّ في «صَحِيح الجَامِع» (٧٣٤١).



وتعالى – قالَ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطُّعَامَ عَلَىٰ حُبُهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨]، ومَعْلُومٌ أن أَسْرَاهُمْ كَانُوا كُفَّارًا غَيْرَ مُؤْمِنِيْنَ ولا أَتْقِيَاءَ، وإِنَّمَا حذَّرَ – عَلَيْتَلِمْ – من صُحْبَة مَنْ لَيْسَ بِتَقِيًّ، وَزَجَرَ عَنْ مُخالطته ومُؤاكلته؛ فإنَّ مَنْ لَيْسَ بِتَقِيًّ، وَزَجَرَ عَنْ مُخالطته ومُؤاكلته؛ فإنَّ المُطَاعَمة تُوقِعُ الأَلْفَة والمُودَّة في القُلُوبِ» (١).

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - : « مَعْنَاهُ : لا تَدْعُ إِلَىٰ مُؤَاكَلَتِكَ إِلاَّ الاَّتْقِينَاءُ ؛ لأَنَّ الْمُؤَاكِلَةَ تُوجِبُ الأَلْفَةَ ، وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْقُلُوبَ ، فَتَوَخَّ أَنْ يَكُونَ خُلَطَاؤُكَ وَذَوُو الاخْتِصَاصِ بِكَ الْقُلُوبَ ، فَتَوَخَّ أَنْ يَكُونَ خُلَطَاؤُكَ وَذَوُو الاخْتِصَاصِ بِكَ الْقُلُوبَ ، فَتَوَخَّ أَنْ يَكُونَ خُلَطَاؤُكَ وَذَوُو الاخْتِصَاصِ بِكَ أَهْلَ التَّقُوكَى » (٢) .

أَيْ بُنَيَّ، اجْعَلْ عُدَّتَكَ - بَعْدَ تَقْوَىٰ اللهِ - صَاحِبًا تَقَيَّا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرُ مَا فِي الدُّنْيَا؛ فَقَدْ سُئِلَ بَعْضُ تَقَيَّا؛ فَقِدْ سُئِلَ بَعْضُ اللهِ الْحُكَمَاءِ: أَيُّ الكُنُوزِ خَيْرٌ؟ . قَالَ: «أَمَّا بَعْدَ تَقُوَىٰ اللهِ اللهِ عَلْمَ اللهِ عَلْمَ اللهِ اللهِ اللهِ عَلْمَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْكِ اللهِ اللهُ اللهِ المَا اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُلِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُو

⁽٢) «العُزْلَةُ والخِلْطَة» للخَطَّابيِّ (ص١٤٢).



⁽١) «عَوُن المَعْبُود» (١٢٣/٧).

فَالاَّخُ الصَّالحُ »(١).

وَقِيلَ لُحَمَّد بِن واسع: أَيُّ الْعَمَلِ فِي اللَّنْيَا أَفْضلُ وَ قَالَ: (صُحْبَةُ الْأَصْحَاب ، وَمُحَادَثَةُ الْإِخْوَان إِذَا اصْطَحَبُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ، فَحِينَئِذ يَذَهَبُ الخِلاف بَيْنَهُم ، عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقُوىٰ ، فَحِينَئِذ يَذَهَبُ الخِلاف بَيْنَهُم ، فَوَصَلُوا وَتَوَاصَلُوا ، وَلا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ الأَصْحَابِ وَمُحَادَثَة الْإِخْوَان إِذَا كَانُوا عَبِيدَ بُطُونِهِم ، لأَنَّهُم إِذَا كَانُوا عَبِيدَ الآخِرة » (٢) .

وَقَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِيِّ: أَوْصِنِي. قَالَ: «اصْحَبْ أَهْلَ التَّقْوَىٰ؛ فَإِنَّهُمْ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ مَئُونَةً (٣)، وَأَكْثَرُهُمْ لَكَ مَعُونَةً (٤).



⁽ ١ ﴿ كَتَابِ الْإِخْوَانَ ﴾ (ص١٣٣)، رقم (٦١).

⁽٢) «كِتَابِ الإِخْوَانِ » (ص١٢٨)، وكتَابِ «الْمُتَحَابِّينِ» (ص٣٠).

^{﴿ ﴿ ﴾ ﴾} الْمُثُونَة : الشُّقَلُ .

⁽ ٤) المرَجعُ السَّابِق (ص١٢٤).

ابْلُ الرِّجالَ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ

وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَعَلَ فَإِذَا ظَفِرْتَ بِذِي الأَمانَةِ والتُّقَىٰ

فَبِهِ البَدَيْنِ - قَرِيرَ عَيْنٍ - فاشْدُد

كُمْ مِنْ صَدِيقٍ فِي الرَّخَاءِ مُساعِدٍ

وَإِذَا أَرَدْتَ حَقِيقَةً لَمْ تُوجَدِ





٥ - الحسب

الحسيبُ - يَا بُنَيَّ - هُوَ: مَنِ انْحَدَرَ نَسَبُهُ عَنْ أَصُولٍ عَرِيقَةٍ، فَصُحْبَتُهُ غَنِيمَةٌ؛ فَلَهُ مِنْ أَصْلِهِ وَأَعْرَاقِهِ أُصُولٍ عَرِيقَةٍ، فَصُحْبَتُهُ غَنِيمَةٌ؛ فَلَهُ مِنْ أَصْلِهِ وَأَعْرَاقِهِ دَلِيلٌ فِي أَمْثَالُها: «إِذَا دَلِيلٌ فِي أَمْثَالُها: «إِذَا غَابَ عَنْكَ أَصْلُهُ وَاللهِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالُها: «إِذَا غَابَ عَنْكَ أَصْلُهُ وَكُلهُ».

وَتَقُولُ: «أَصْلٌ رَاسِخٌ ، وَفِعْلٌ شَامِخٌ ». وَتَقُولُ: « مَنْ طَابَ أَصْلُهُ ، زَكَىٰ فعْلُهُ ».

وَيَقُولُ الشَّاعِرُ:

لا تَنْظُرَنَّ إِلَىٰ امْرِئٍ مَا أَصْلُهُ

وَانْظُرْ إِلَىٰ فِعَالِهِ ثُمَّ احْكُمْ (١)

وَمَتَىٰ اجْتَمَعَ النَّسَبُ الشَّرِيفُ، وَالدِّينُ الْحَنِيفُ،

(١) «مُحَاضَرَاتُ الأُدنَبَاءِ» (١/ ٦٩٩).



وَالْعِلْمُ الْمُنيفُ - فَذَلِكَ الشَّرَفُ الَّذِي لا شَرَفَ أَرْفَعُ مِنْهُ، النَّاسِ - عَلَيْ النَّاسِ - عَلَيْ النَّاسِ - عَلَيْ النَّاسِ النَّبِيُ - عَلَيْ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيارُهُمْ فِي الجَاهِلَيَّةِ فِي الْجَاهِلَيَّةِ خِيارُهُمْ فِي الْجَاهِلَيَّةِ خِيارُهُمْ فِي الْإِسْلامِ ، إِذَا فَقُهُوا »(١).

قَالَ الْحَافِظُ - رَحِمَهُ اللهُ -: (قَوْلُهُ: « تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ » أَيْ: أُصُولاً مُخْتَلِفَةً ، وَالْمَعَادِنُ جَمْعُ مَعْدِن ، وَهُوَ الشَّيْءُ الْمُسْتَقِرُ فِي الأرْضِ ، فَتَارَةً يَكُونُ نَفِيسًا ، وَتَارَةً يَكُونُ نَفِيسًا ، وَتَارَةً يَكُونُ خَسيسًا ، وَكَذَلكَ النَّاسُ) (٢).

إِذَا مَا اصْطَفَيْتَ امْرَأً فَلْيَكُنْ

شَرِيفَ النِّجَارِ (٣) إِزَكِيَّ الْحَسَبُ

فَنَذْلُ الرِّجَالِ كَنَذْلِ النَّبَا

ت، لا للشِّمَار وَلا للْحَطَب (1)

⁽٣) الْبِيتَان لأبِي الفَتْحِ البُسْتِيِّ ، كَمَا فِي «دِيوَانِهِ » (ص١٠٦).



⁽١) رَوَاهُ البُخارِيُّ (٣٣٥٣)، ومُسْلم (٢٣٧٨)، واللَّفْظ لَهُ.

⁽٢) «الفَتْحُ» (٦٥٧/٦). (٢) النَّجَار-بالكَسْر وَالضَّمِّ-: الأَصْلُ.

وَصَاحِبُ الأَصْلِ أَثْبَتُ مَوَدَّةً، وَأَعْظَمُ وَفَاءً لِتَوَارُثِهِ الشَّهَامَةَ وَالْمُرُوءَةَ ، وَالكَرَمَ وَمُرَاعَاةَ الجَارِ، وَعِزَّةَ الدَّارِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: «نَتَرْنَا فِي المُوَدَّةِ وَالإِخَاءِ، فَلَمْ نَجِدْ أَثْبَتَ مَوَدَّةً مِنْ ذِي أَصْلِ».

وَقَالَ زُهَيْرٌ:

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا

تَوَارَثُهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَسِبْلُ (١)

وَقَالَ آخُر ُ - شَارِحًا تَوَارُثُهُ الْمَكَارِمَ - :

وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ سَجِيَّةً وَالدي

فَعَلَّمَنِيها وَالدي فَعُلمْتُهَا(٢)



⁽١) «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاء» (١/٦٩٧).

⁽٢) «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاء» (١/٦٩٨).

وَقَالَ آخَرُ :

زَانُوا قَدِيمُ هُمْ بِحُسْنِ حَدِيثِهِمْ

وكريم أخْلاق بِحُسْنِ وُجُوه (١)

عَلَى صُحْبَةً صَاحِبِ الْحُسَبِ:

وَلَقَدْ حَرَصَ السَّلَفُ عَلَىٰ صُحْبَةِ صَاحِبِ الْحَسَبِ ؟ لِتَوَارُثِهِ المُكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وكَانُوا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ عَلَىٰ أُمُورِهِمْ فِي سِيَاسَةِ النَّاسِ (٢).

وقَالَ الْحَسَنُ - رَحْمَهُ اللهُ - لَعُمَرَ بْنِ عَبْد العَزِيز : عَلَيْكَ بِذَوِي الأَحْسَابِ فَإِنَّهُمْ إِنَّ لَمْ يَتَّقُوا اسْتَحْيَوْا، وإِن لَمْ يَسْتَحْيَوْا تَكَرَّمُواَ».



⁽١) «مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاء» (١/٧٠٣).

⁽٢) أَمَّا انْتِفَاعُ السَّلَف بَأَصْحَابِ الحَسَبِ فِي سِيَاسَةِ النَّاسِ فَذَلِك مُتَوَارَثٌ وَ ٢ حَتَّىٰ يَوْم النَّاسِ هَذَا ، وَلا بَأْسَ منْ ذكْر مِثَالَيْن

زيادة علَي ما يَأْتِي ذكر الرَّاعبُ فِي (مُحَاضَرات الأُدَبَاء) (١ / ٦٩٤) قَالَ عَدِي بن أَرْطَاة لإِيَاسِ: دُلَّنِي عَلَىٰ قَوْم مِنَ القُرَّاءِ أَوَاليهِمْ. فَقَالَ: الْقُرَّاءُ ضَرْبَان: ضَرْبٌ يَعْمَلُونَ للدُّنْيا، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ؟، وَضَرْبٌ يَعْمَلُونَ للدُّنْيا، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ؟، وَضَرْبٌ يَعملُونَ للدُّنْيا، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ؟ اللهَيُوتَاتِ الَّذِينَ يَعملُونَ للآخَرَة فلا يَعْمَلُونَ لَكَ، وَلَكِن عَلَيْكَ بِأَهْلِ البُيُوتَاتِ الَّذِينَ يَسْتَحيُونَ لأَحْسَابِهِم فَوَالهمْ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيُ - رَحِهَ اللهُ - : « يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ الأُصُولِ فِيمَنْ يُخَالِطُهُ وَيُعَاشُرُهُ، وَيُشَارِكُهُ وَيُضَادِقُهُ، وَيُزَوِّجُهُ أَوْ يَتَزَوَّجُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْظُرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي وَيُصَادِقُهُ، وَيُزَوِّجُهُ أَوْ يَتَزَوَّجُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْظُرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الصَّورَ ؛ فَإِنَّ صَلاحِ الْبَاطِنِ، أَمَّا الصَّولُ فَإِنَّ الشَّيْخَ يَرْجِعُ إِلَىٰ أَصْله، وبَعِيدٌ مَمَّنْ لا أَصْل اللهُ مَنْ لا أَصْل لَهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَعْنَى مُسْتَحْسَنَّ ، وإِنَّ المَرْأَةَ الحَسْنَاءَ إِذَا لَهُ أَنْ يَكُونَ ضَيِّنَةً ، وكذلك كَانَتْ مِنْ بَيْتَ رَدِيءٍ ، فَقَلَّ أَنْ تَكُونَ صَيِّنَةً ، وكذلك كَانَتْ مِنْ بَيْتَ رَدِيءٍ ، فَقَلَّ أَنْ تَكُونَ صَيِّنَةً ، وكذلك كَانَتْ مَنْ بَيْتَ رَدِيءٍ ، فَقَلَّ أَنْ تَكُونَ صَيِّنَةً ، وكذلك كَانَ نَادِرًا . المُخَالِطُ إِلاَّ مَنْ لَهُ أَصْلٌ يَخَافُ عَلَيْهِ اللدَّنَسَ، فَالْغَالِبُ أَلْ السَّلامَةُ ، فَإِنْ وَقَعَ ذَلِكَ كَانَ نَادِرًا .

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللهُ - لِرَجُلِ: أَشِرْ عَلَيَّ فِيمَنْ أَسْتَعْمِلُ. فَقَالَ: أَمَّا أَرْبَابُ الدِّينِ فَلا يُرِيدُونَكَ، وأَمَّا أَرْبَابُ الدُّنْيَا فَلا تُرِدْهُمْ، ولَكِنْ عَلَيْكَ بِالْأَشْرَافِ؛ فَإِنَّهُمْ يَصُونُونَ شَرَفَهُمْ عَمَّا لا يَصْلُحُ .



وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرِ الْصُولِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: دَعَانِي الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا، فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ الْحَمَّامَ، ثُمَّ خَلا بِي، وَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فِي نَفْسِي شَيْءٌ أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلُكَ عَنْهُ، إِنَّ أَخِي المَّامُونَ اصْطَنَعَ قَوْمًا فَأَنْجَبُوا (١)، وَاصْطَنَعْ قَوْمًا فَأَنْجَبُوا (١)، وَاصْطَنَعْتُ أَنَا مِثْلَهُمْ فَلَمْ يُنْجِبُوا، قُلْتُ: وَمَنْ هُمْ؟.

قَال: اصْطَنَعَ طَاهِرًا وَابْنَهُ، وَإِسْحَاقَ وَآلَ سَهْل، فَقَدْ رَأَيْتَ مَا آلَ رَأَيْتَ مَا آلَ رَأَيْتَ مَا آلَ أَنْ الْأَفْشِينَ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَا آلَ أَمْرَهُمْ، وأصاشَ فَلَمْ أَجِدْهُ شَيْئًا، وكذلك إِيتَاخُ وَوَصِيفُ.

قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَا هُنَا جَوَابٌ عَلَىٰ أَمَانٍ مِنَ الْغَضَب.

قَالَ: لَكَ ذَلكَ.

قُلْتُ: نَظَرَ أَخُوكَ إِلَىٰ الأُصُولِ، فَاسْتَعْمَلَهَا، فَأَنْجَبَتْ فُرُوعًا، فَأَنْجَبَتْ فُرُوعًا لِا أُصُولَ لَهَا ؛ فَلَمْ تُنْجَبْ.

⁽١) أَنْجَبُوا: وَلَدُوا النِّجَبَاءَ الكُرَمَاءَ الخُسَبَاءَ.



رسالة إلى وَلَدِي بَرِي وَكُونُ وَكَالِحِينَ ؟

فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، مُقَاسَاةُ مَا مَرَّ بِي طُولَ هَذهِ اللهَّة أَهْوَنُ عَلَيَّ منْ هَذَا الجَوَابِ (١).

قَالَ أَبُو تَمَام:

فُ رُوعٌ لا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلاَّ

شَهِدَتَ لَهَا عَلَىٰ طِيبِ الأُرُوْمِ (٢)

وَفِي الشُّرَفِ الحَدِيثِ دَلِيلٌ صِدْقٍ

لُخْتَبِرً عَلَىٰ الشَّرَفِ القَدِيمِ (٣)

وُقالُ آخرُ :

وَكُلُّ أَخِ يَقُصُولُ: أَنَا وَفِيٌّ

وَلَكِنْ لَيْسَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ

سِوَىٰ خِلِّ لَهُ حَسسَبٌ وَدِين اللهِ

فَذَاكَ لَمَا يَقُولُ هُوَ الْفَعُولُ (1)



⁽١) «صَيْدُ الخَاطرِ» (ص٢٠١).

⁽٢) الأُرُومْ : جَمْعُ أَرُومَةً - بالفَتْحِ والضَّمِ - ، وَهُوَ الأَصْلِ .

⁽٣) « مُحَاضَراتُ الأُدَبَاءِ» (١/١٩٩).

⁽ ٤) « أَدَبُ الدِّنْيَا والدِّين » (ص١٦٩).

وَقَالَ أَحْمَدُ بِنُ عبيدِ الشَّاعِرُ:

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي

وَلَمْ يَغْتَمِرْنِي قَبْلَ ذَاكَ عَذُولُ تَقُولُ: اتَّئِدْ لا يَدْعُكَ النَّاسُ مُمْلقًا (١)

وَتُزْرِي بِمَنْ -يَا بْنَ الْكِرَامِ- تَعُولُ

فَقُلْتُ : أَبَتْ نَفْسٌ عَلَيَّ كَرِيمَةٌ

وَطَارِقُ لَيْلٍ غَـيْسِرَ ذَاكَ يَقُـولُ

أَلَمْ تَعْلَمِي - يَا عَمْرَك اللهَ - أَنَّني

كَـرِيمٌ عَلَىٰ حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلُ

وَإِنِّي لأَخْ رَىٰ إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ

سَخِيٌّ وأَخْزَىٰ أَنْ يُقَالَ: بَخِيلُ

فَلا تُتْبعي الْعَيْنَ الغَوايَةَ، وَانْظُرِي

إِلَىٰ عُنْصُرِ الأَحْسَابِ أَيْنَ يَتُولُ (٢)

⁽٢) (الأمَالي) لأبِي عَليّ القَالي (ص٩٩، ٥٠).



⁽١) الْمُمْلق: الفَقير.

٦ - بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

Ø

أَيْ بُنَيَّ، لا تُصَاحِبْ إِلاَّ بَرَّا بِوَالدَيْه؛ فَإِنَّ الْعَاقَّ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَكَ صَاحِبًا، فَلا يَسْتَقِيْمُ وُدَّهُ، وَلا يَفِي بِغَهْده، وَمَنْ ضَيَّعَ حَقَّ وَالدَيْه، فَلَنْ يُنْتَظَرَ مِنْهُ أَنْ يَحْفَظَ حَقَّ الصَّحْبَة؛ فَإِيَّاكُ وَإِيَّاهُ.





رستالك الدي مرض في المرادي عمر المرادي المرادي

٧ - حسنُ الخلق

أَيْ بُنَيَّ، جَمِيلٌ أَنْ تُصَاحِبَ مَنْ كَانَ ذَا خُلُقٍ حَسَنٍ النَّفْسِ، وكَرَمِ حَسَنٍ النَّفْسِ، وكَرَمِ الطَّبْعِ.

وَيُعَرَّفُ حُسْنُ الخُلُقِ بِأَنَّهُ التَّخَلُقُ بِأَخْلاقِ الشَّرِيعَةِ، وَالتَّادُبُ بِآدَابِ اللهِ الَّتِي أَدَّبَ بِهَا عِبَادَهُ فِي كِتَابِهِ.

وَأَعْظَمُ مَنْ لَبِسَ تَوْبَ الْأَخْلاقِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا نَبِيُّنَا - عَيَظِيَّةً - ، فَقَد امْتَنَّ اللهُ عَلَيْه بِمَكَارِمِ الْأَخْلاقِ، وَجَمَعَ فِيهِ أَشْتَاتَ الْفَضَائِلِ بِتَمَامِهَا، وَأَبْعَدَهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَنَوَّهُ بِذَكْرِ مَا يَتَحَلَّىٰ بِهِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِ عَظِيمٍ ٤] .



فَاحْرِصْ عَلَىٰ أَنْ تُصَاحِبَ ذَا خُلُقٍ حَسَنٍ ؛ فَإِنَّكَ تَوْدَادُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ أَخْلاقًا إِلَىٰ أَخْلاقِكَ، وَأَدَبًا إِلَىٰ أَدْبِكَ ، وَمَتَىٰ وَجَدَتَ صَاحِبَكَ عَارِيًا مِنَ الأَخْلاقِ؛ فَاحْرِصْ عَلَىٰ وَأَسَىٰ وَجَدَتَ صَاحِبَكَ عَارِيًا مِنَ الأَخْلاقِ؛ فَاحْرِصْ عَلَىٰ وَأُسِ مَالِكَ؛ فَإِنَّهَا تِجَارَةٌ لا تَبُورُ.

وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ يَنْهَاهُ الْحَيَاءُ وَلا

تَقُوكَىٰ فَخَفْ كُلَّ قُبْحٍ مِنْهُ وَانْتَظِرِ

وَالنَّاسُ أَخْلاقُهُمْ شَتَّىٰ وَأَنْفُسُهُمْ

مِنْهُمْ بَعِيرٌ، وَمِنْهُمْ مُخْطِئُ النَّطَرِ





٨ - الحياءُ

أَيْ بُنَيَّ، لا تُصاحبْ إِلاَّ مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ؛ فَإِنَّ الصُّحْبَةَ تَدُومُ بِدَوَامِ الْحَيَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ ، ذَهَبَ عَنْهُ كُلُّ جَميلُ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ الْمُخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُود اللهُ النَّاسُ اللهُ عَلَيْكُ لَا قَالَ: «إِنَّا مَسَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النَّبُوَّةِ الأَولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْي، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ ».

وَهَذَا الحَديثُ - يا بُنَيَّ - خَرَجَ مَخْرَجَ الذَّمِّ، فَمَنْ لا يَسْتَحْي، دَعَاهُ تَرْكُ الحَيَاءِ إِلَىٰ أَنْ يَعْمَلَ مَا يَشَاءُ، فَلا تَأْمَنْ أَنْ يَعْمَلَ مَا يَشَاءُ، فَلا تَأْمَنْ أَنْ يَنَالَكَ مِنْهُ بَعْضُ مَا تَكْرَهُ.

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي

وَلَمْ تَسْتَحْي فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

⁽١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٨٣).



رسَالْعَالِى وَلَدِي مِرْنَ فِي الْمُعَالِينِينَ }

فَلا وَاللهِ، مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ

ولا الدُّنْيَا، إِذَا ذَهَبَ الحَـيَاءُ يَعِيْشُ المَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ

وَيَبْقَىٰ العُودُ مَا بَقِي اللَّحَاءُ

وَالْحَيَاءُ - يَا بُنَيَّ - مِنَ الْإِيمَانِ؛ فَاسْمَعْ إِلَىٰ نَبِيِّكَ - عَلَيْ فَاسْمَعْ إِلَىٰ نَبِيِّكَ - عَلَيْهُ - وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَسَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاء، وَالْجَفَاءُ فَي النَّارِ»(()).

وَاعْلَمْ - يَا بُنَيَّ - أَنَّ الصَّاحِبَ إِذَا كَانَ مُتَخَلِّقًا بِخُلُقِ الْحَيَاءِ ، كَانَتْ أَسْبَابُ الْخَيْرِ مِنْهُ مَوْجُودَةً ، فَالْحَيَاءُ رِمَامٌ عَنِ الْحَرَامِ ، وَلِجَامٌ عَنِ الآثَامِ ، كَمَا قِيْلَ:

وَرُبُّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي

وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلاَّ الحَيَاءُ فَكَانَ هُوَ الدَّواءَ لَهَا ، وَلَكِنْ

إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ فَلِا دَوَاءُ

⁽١) صحيح، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٠٠٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وصحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحُ الجَامَع» (٣١٩٩).



٩ - التواضع

أَيْ بُنَيَّ، صَاحِبِ الْمُتَواضِعَ مِنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ رَفِيعُ الْقَدْرِ، قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرِّ، وَمَا ظَنَّكَ بِرَجُلٍ عَلَيْهِ الْقَدْرِ، قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرِّ، وَمَا ظَنَّكَ بِرَجُلٍ عَلَيْهِ الْقَدْرِ، قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَبِرِّ، وَمَا ظَنَّكَ بِرَجُلٍ عَلَيْهِ الْقَوَاضُعِ تَاجُ الْمُرُوْءَةِ (١) وَحِلْيَةُ الشَّرَف؟! (٢)، وَمِنْ عَلامَةِ التَّوَاضُعِ الْجُ الْمُرُوْءَةِ (١) وَحِلْيَةُ الشَّرَف؟! (٢)، وَمِنْ عَلامَةِ التَّوَاضُعِ اللَّهُ اللَّهُ وَلَمْ تَرُدَّهُ، وَلَا تَرَىٰ أَخَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ رَأَيْتَ نَفْسَكَ دُونَهُ (٣).

وَالتَّوَاضُعُ مِنْ صِفَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ المُتَّقِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ المُتَّقِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ – سُبْحَانَهُ – بِقَوْلِهِ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ اللهُ – سُبْحَانَهُ – بِقَوْلِهِ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ اللَّهِ اللهُ اللهُ عَلَى الأَرْضِ هَوْنَا ﴾ [الْفُرْقَانُ: ٣٦].

⁽٣) «آدابُ النُّفُوسِ» للحَارِث الحُاسَبي (ص٧٤).



⁽١) مِنْ أَمثَالِ العَرَبِ: «تَاجُ الْمُوْءَةِ التَّوَاضُعُ» انظر «مجمع الأمثال» (١) مِنْ أَمثَالِ العَربِ: «تَاجُ الْمُوْءَةِ التَّوَاضُعُ» انظر «مجمع الأمثال»

⁽٢) مِنْ أَمِثْ السَّرَفِ » التَّوَاضُعُ شَبَكَهُ الشَّرَفِ » انظر « مَجمع الأمثال » (١٥١/١).

قَالَ ابْنُ سَعْدِيً - رَحِمَهُ اللهُ - : (ذَكَرَ أَنَّ صِفَاتِهِمْ أَكْمَلُ النَّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ أَكْمَلُ النَّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ أَكْمَلُ النَّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ بَانَّهُمْ ﴿ يَمْ شُونَا ﴾ ، أَيْ سَاكنِينَ مُستَونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ، أَيْ سَاكنِينَ مُستَواضِعِينَ للهِ وَللْحَلْقِ، فَهَذَا وَصْفُ لَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَالتَّوَاضُعِ للهِ وَلعِبَادِهِ » (١).

وَالْمَتَكَبِّرُ - يَا بُنَيَّ - لا يُصَاحَبُ ؛ لأَنَّ الْكِبْرَ دَلِيلٌ عَلَىٰ سُفُولِ النَّفْسِ وَانْحِطَاطِهَا.

ويُعْرُفُ التَّكَبُّرُ بِأَنَّهُ: «بَطَرُ الحَقِّ (٢)، وَغَهُ طُ النَّاسِ (٣)»(٤).

وَمِنْ عَلامَةِ الْكِبْرِ: «اسْتعْظَامُ الإِنْسَان إِنَفْسَهُ،

⁽٤) هَذَا هُو تَعْرَيِفُ النَّبِيِّ - عَلِيْكُ - لَلْكَبِّرِ، كَمَا فِي «صَحِيْح مُسْلِم» (٤) مَنْ حَديث عَبْد الله بْنِ مَسْعُود - وَلِيْكَ - .



⁽۱) «تفسير ابن سعدي» (٥/٩٣٥).

⁽ ٢) بَطَرُ الْحَقِّ: هُو دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ تَرَفُّعًا وَتَجَبُّرًا ، وَبَابُهُ فَرحَ.

⁽٣) غَمْطُ النَّاسِ: احتقارُهُمْ ، وَبَابُهُ فَهمَ وَضَرَبَ.

وَاسْتِحْسَانُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَالاسْتِهَانَةُ بِالنَّاسِ، وَاسْتِحْسَانُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَالاسْتِهَانَةُ بِالنَّاسِ، وَاسْتِصْغَارُهُمْ، وَالتَّرَقُّعُ عَلَىٰ مَنْ يَجِبُ التَّواضُعُ لَهُ (١).

وَلِكُلِّ شَيْءٍ - يَا بُنَيَّ - ثَمَرَةٌ؛ فَتَمَرَةُ التَّوَاضُعِ المَحَبَّةُ، وَتَمَرَةُ التَّوَاضُعِ المَحَبَّةُ، وَتَمَرَةُ التَّكَبُّرِ النَّفْرَةُ.

وَقِيلَ: «مَا اسْتُنْبِطَ الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمُشَاورَةِ، وَلا الْمُشَاورَةِ، وَلا الْمُتْبِعَ الْبَغْضَاءُ بِمثْلِ الكبْرِ».

الْحَبِرُ دَلِيلُ النَّقْصِ:

الْكِبْرُ - يَا بُنَيَّ - دَلِيلُ النَّقْصِ، وَهَلْ عَرَفَ عُلَمَاءُ الْكَبْرُ - يَا بُنَيَّ - دَلِيلُ النَّقْصِ، وَهَلْ عَرَفَ عُلَمَاءُ الإِسْلامِ قَدْ النَّفْسِ عُقْدَةَ النَّقْصِ إِلاَّ بِذَلِكَ، لَكِنْ عُلَمَاءُ الإِسْلامِ قَدْ سَبَقُوهُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وفي كُلِّ مَيَادِينِ التَّرْبِيَةِ.

وَالنَّاقِصُ يَرَىٰ نَفْسَهُ أَكْبَرَ مِنْ غِيْرِهِ وَيَتَشَبَّعُ بِأَكْثَرَ مِمَّا عِنْدَهُ؛ فَإِن اسْتَصْحَبَ التَّكَبُّرَ عِنْدَ حُصُولِهِ عَلَىٰ شَيْءٍ

(١) انظر « تَهذيْبُ الأَخْلاق » للجَاحظ (ص٣٢).



مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَدْ بَانَ لَكَ نَقْصُهُ، وَإِنِ اسْتَصْحَبَ التَّوَاضُعَ - وَلُو حَازَ الدُّنْيَا - دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ عَظَمَة نَفْسِهِ.

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: (لَّا عَرَفَ أَهْلُ النَّقْصِ حَالَهُمْ عِنْدَ فَالَ النَّقْصِ حَالَهُمْ عِنْدَ ذُوي الكَمَالِ، اسْتَعَانُوا بِالكِبْرِ؛ لِيُعَظِّمَ صَغِيرًا، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ (1).

وَقَالَ الْفَضْلُ بُن سَهْلٍ: « مَنْ كَانَتْ ولايَتُهُ فَوْقَ قَدْرِهِ، تَوَاضَعَ لَهَا » (٢). تَكَبُّرَ لَهَا، وَمَنْ كَانَتْ وِلايَتُهُ دُونَ قَدْرِهِ، تَوَاضَعَ لَهَا » (٢).

وَقَالَ عَلِي بِنُ هذيلِ: «مَا تَوَاضَعَ فِي وِلايَتِهِ إِلاَّ مَنْ كَبُرَتْ عَلَيْه »(٣). كَبُرَ عَنْهَا، وَلا تَكَبَّرَ فِيهَا إِلاَّ مَنْ كَبُرَتْ عَلَيْه »(٣).

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: النَّاسُ في الْولايَة رَجُلان: رَجُلٌ

⁽٣) «عَيْن الأَدَبِ والسياسة وَزَيْن الحَسنب والرِّيَاسَة » لعليِّ بْنِ هُذَيْلٍ (٣) (ص٢٩ – ٣٠).



⁽١) «أَدَبُ الدُّنْيَا والدّين» (ص٢٥٨).

⁽٢) «أَدَبُ الدُّنْيَا والدّين» (ص٢٦٤).

رسَالْقَالِي وَلَدِي مِنْ فِي الْمِنْ الْفِلْيِ وَلَدِي مِنْ فِي الْمِنْ الْفِيلِي وَلَدِي مِنْ الْفِيلِي وَلَمْ الْمِنْ الْفِيلِي وَلَيْنِ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُلْدِي وَلِيْفِي الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ لِلْمُنْ لِلْمُنْ الْمُنْ لِلْمُنْ لِلْمُنْ الْمُنْ لِلْمُنْ الْمُنْ لِلْمُنْ الْمُنْ لِلْمُنْ لِلْمُنْ لِلْمُلِلْمِنْ لِلْمُنْ لِلْمِنْ لِلْمُلْلِيلِي لِلْمُنْ لِلْمُنْ لِلْمُنْ لِلْمُنْ لِلْمُنِ

يُجِلُّ الْعَمَلَ بِفَضْله وَمُرُوءَتِه، وَرَجُلٌ يُجَلُّ بِالْعَمَلِ لِنَقْصِهِ وَدَنَاءَته؛ فَمَنْ جَلَّ عَنْ عَمَمَله، ازدَادَ به تَوَاضُعًا وَبِسْرًا، وَدَنَاءَته؛ فَمَنْ جَلَّ عَنْ عَمَلُه، ازْدَادَ به تَجَبُّرًا وَتَكَبُّرًا»(١).

أَيْ بُنَيَّ، تِلْكَ فَائِدَةٌ قَلَّ مَنْ تَفَطَّنَ لَهَا، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ عَجَبٌ، وَإِنَّمَا العَجَبُ أَنَّ النَّاسَ لا يَعْرِفُونَ النَّاقِصَ ذَلِكَ عَجَبٌ، وَإِنَّمَا العَجَبُ أَنَّ النَّاسَ لا يَعْرِفُونَ النَّاقِصَ لاَ وَهْلَةٍ وَلِهَذَا كَانَتِ الثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزًا.

وَقَدْ قَيِلُ: « احْذَرْ - رَحِمَكَ اللهُ - مَنْ قَرُبَ مِنْكَ ، وَقَدْ قَرُبَ مِنْكَ ، وَقَدْرُتَ مِنْهُمْ وَقَرْبُتَ مِنْهُمْ وَقَدْرُتَ مِنْهُمْ اللهُ وَقَدْرُتُ مِنْهُمْ اللهُ وَسَلِمُوا مِنْكَ وَسَلِمْتَ مِنْهُمْ اللهُ وَسَلِمْتَ مِنْهُمْ اللهُ اللهُ وَسَلِمْتَ مِنْهُمْ اللهُ اللهُ اللهُ وَسَلِمْتَ مِنْهُمْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَسَلِمْتَ مِنْهُمْ اللهُ ا

وَقِيلَ:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ

لَهُ عَنْ عَدُوًّ فِي ثِيَابِ صَدِيق (٣)

⁽٣) «عَيْن الأَدَب وَالسياسة وَزَيْن الحَسَب والرِّيَاسَة» (ص٥٥).



⁽١) «أَدَبُ الدُّنْيَا والدّين» (ص٢٦٤).

⁽٢) «آدَابُ النُّفوسِ» (ص٧٤).

رِسَالُمَة إِلَى وَلَدِي مِنْ فِي الْمُنْ الْوَرْمِ الْمِ

وَقِيلَ:

وَاحْدُر صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَه

فَلَرُبُّ مَا انْقَلَبَ الصَّديقُ

فَكَانَ أَعْلَمَ بِالمَضِيرَّهُ(١)

وُقَالَ وَليِنْد الرسمي:

وَكُلُّ الَّذِي أَدْرِيه أَنَّ تَجَـرُعِي

كئُوسِ المرَارَةِ كَانَ مِنْ أَحْبَابِي

فَيَا رَبِّ عِلْمُكَ بِالقُلُوبِ وَأَهْلِهَا

يُرِيْكُ مَدَى حُبِّي وَبُغْض صَحَابي



⁽١) «صَيْدُ الخَاطِرَ » لَابْنِ الجَوْزِيِّ (ص٢١٦).



١٠ علو الهمة

Ø

أَيْ بُنَيَّ، لا تُصَاحِبْ إِلاَّ عَالِيَ الهِمَّة؛ لأَنَّ عَالِيَ الهِمَّة وَالْمَنْ عَالِيَ الهِمَّة يَسْتَخفُ بِالمُرْتَبَةِ السُّفْلَىٰ - أَوِ المُرْتَبَةِ الوُسْطَىٰ - الهِمَّة يَسْتَخفُ بِالمُرْتَبَةِ السُّفْلَىٰ - أَوِ المُرْتَبَةِ الوُسْطَىٰ مِنْ مَعَالِي الأُمُورِ وَلَا يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ، وَلا يَقَرُّ لَهُ قَرَارٌ إِلاَّ مِنْ مَعَالِي الأُمُورِ وَلَا يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ، وَلا يَقَرُّ لَهُ قَرَارٌ إِلاَّ حِينَ يَضَعُ نَفْسَهُ فِي أَسْمَىٰ مَنْزِلَةً ، وأقْصَىٰ غَايَة (١).

وَمِنْ دُرُر العَلاُّمَة ابن القَيْم قُوله:

« مَنْ عَلَتْ هِمَّتَهُ ، وَخَشَعَتْ نَفْسَهُ اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيْل، وَمَنْ دَنَتْ هِمَّتَهُ ، وَطَغَتْ نَفْسَهُ، اتَّصَفَ خُلُقٍ جَمِيْل، وَمَنْ دَنَتْ هِمَّتَهُ ، وَطَغَتْ نَفْسَهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ رَذِيل » (٢) .

وَلا يَرْضَىٰ لِصَاحِبِهِ إِلاَّ مَا يَرْتَضِيهِ لِنَفْسِهِ، فَلا يَزَالُ

⁽٢) انظر «الفَوَائِدُ » (ص ٢١١).



⁽١) انظر «رَسَائِلُ الإِصْلاح» (٢/٨٦ - ٨٨).

يَحْمِيهِ بِسِيَاطِ المَلامِ وَالتَّأْنِيبِ ، حَتَّىٰ يَطِيرَ طَيَرَانَهُ، فَلا يَزَالُ يَحْدُو به.

كُنْ نَاسِكًا تَبَـــتُّـــلاً

أَوْ رَائِسًا تَبَحَدِ جُدِلاً وَعَدِّ عَنْ مُصِحَدِّ مَّقٍ

بَصْدُهُ قُصِعُ ودُهُ

وَعَدِّ زُهُ عَنِ الْعُلِلاَ (١)





⁽١) « ديوان أسلاك الجواهرِ» (ص٣٠٢) للشُّو كانِيِّ.

بعض صفات دخلاء السوء

١ - اللُّوْمُ

اللُّؤْمُ - يَا بُنَيَّ - ضدُّ الْكَرَم (١)، فَهُوَ اسْمٌ للأَخْلاق وَالأَفْعَالِ المَذْمُومَةِ الَّتِي تَظْهَرُ مِنَ اللَّئِيمِ، وَكُلُّ شَيْيِءٍ خَبُثَ فِي بَابِهِ فَهُو َلُؤْمٌ، كَمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ شَرُّفَ في بَابِه فَهُو كَرَمٌ (٢).

فَالْكَرَمُ صِفَةٌ مُلازِمَةٌ للْمُؤْمِن ، وَالفُجُور خَلَّةٌ طُبِعَ عَلَيْهَا اللَّئيمُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةً - وَلِيَ اللهِ حَالِيَةِ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - عَلَيْكُم - : «المُؤْمنُ غرُّ (٣) كَريمٌ، وَالْفَاجِرُ خَبُّ (١) لَئيمٌ»(٥).

^(°) حَسَنٌ ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٧٩٠) ، وَحَسَّنه الألبانيَّ في «الصحيحة » .(950)



⁽١) «مَقَايِيسُ اللُّغة» (٢٢٦/٥).

⁽٢) «مُفْرَدَاتُ اللُّغَة » للراغب (ص ٤٢٩).

⁽٣) «الغرُّ -بالكَسْرِ- الجَاهِلُ بالشَّرُّ الغَافل عَنْهُ، والجَمْعُ أَغْرَارٌ وغِرارٌ. (٤) الخَبُّ - بالفَتْعِ وَيُكْسِرُ - الخَدَّاعُ المُفْسِدُ .

وَاللَّئِيمُ - يَا بُنَيَّ - لَيْسَ لَهُ عَهْدٌ ، وَلا أَمَانَةٌ ، وَلا دينٌ ، وَلا حُرْمَةٌ ، خَبيثُ الطَّبْع، تَخَالُهُ حَقُودًا، حَسُودًا، شامِتًا، بَاغِيًا، سَاهِيًا، فَاجِرًا، فَخُورًا، كَاذِبًا، مَلُولاً، صِفَاتٌ إِنْ رَأَيْتَهَا مُجْتَمِعَاتٍ ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا أَخُواتٍ .

أَيْ بُنَى ، لَوْ شئت لَقُلْتُ لَكَ كَلَمَةً وَاحِدَةً: «الْزَم الْكَرِيمَ، وَتَجَافَ عَنِ اللَّئِيمِ تَنْفَرِدْ بِالرَّاحَةِ »(١).

لأَنَّ الكَرَمَ : اسْمٌ للأَخْلاق وَالأَفْعَالِ المَحْمُودَة الَّتي يَتَّصفُ بِهَا الصَّاحِبُ الصَّالِحُ، وَاللُّؤْمُ الَّذِي يَتَّصِفُ بِهِ دُخَلاءُ السَّوْءِ بالضِّدِّ منْ ذَلكَ .

أَيْ بُنَى ، دَع اللَّئيمَ يَعْبُرُ وَلا تَتَعَرَّضْ لَهُ ؛ فَإِنَّكَ مَتَىٰ حَرَّكْتُهُ حَرَّكْتَ جِيفَةً، فَلَوْ تَوَحَّشْتَ في الرُّبْع(٢)، فَلَيْسَ ثُمَّ وَحْشَةٌ أَشَدُّ من اللَّئيم.



⁽١) أَيْ: أَنَّي لَوْ شَنْتُ اكتَفَيْتُ بِتلكَ الكَلمَاتِ عَنْ كَتَابَة هَذهِ الرِّسَالَة. (٢) الرَّبْع: أَيْ صَحَرَاء الرَّبْعِ الخَالِي، تَقَعْ في الشَمَال الشَّرْقِيِّ لِلَيَمَنِ.

وَمِنْ غُرَدِ الْحِكَمِ: «قَدْ تُكْتَسَبُ الأَخْلاقُ مِنْ مُعَاشَرَةِ الْكَرَامِ، وَوَبُ طَبْعٍ كَرِيمٍ الْكَرَامِ، وَوَبُ طَبْعٍ كَرِيمٍ الْكَرَامِ، وَوَبُ طَبْعٍ كَرِيمٍ الْكَرَامِ، وَفَسَادُهَا مِنْ مُخَالَطَةِ اللِّمَامِ، وَرُبُ طَبْعٍ كَرِيمٍ أَفْسَدَتُهُ مُعَاشَرَةُ الأَشْرَارِ، وطَبْعٍ لَئِيمٍ أَصْلَحَتْهُ مُصَاحَبَةُ الأَخْيَارِ»(١).

عُلِياً صُحْبَةُ اللِّئَامِ مِحْنَةُ الكِرَامِ:

أَيْ بُنَيَّ، التَّارِيخُ حَافِلٌ بِذِكْرِ مِحْنَةِ الْكُرَمَاءِ حِينَ يَقْتَرِنُ أَحَدُهُمْ بِرَجُلٍ مِنْ هَذَا الصِّنْفَ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لأَنَّهُمْ قَدَّمُوا مَا أَخَرُوا ، قَدَّمُوا الصَّحْبَةَ قَبْلَ التَّجْرِبَةِ، فَلَوْ أَنَّهُمْ قَدَّمُوا مَا أَخَرُوا ، لَكَانُوا في ذَمَّة الحَمْد والسَّلامَة.

فَهَذَا أَحْمَدُ بِنُ يُوسِفَ كَتَبَ لِصَدِيقٍ لَهُ - بَعْدَ فَهَذَا أَحْمَدُ بِنُ يُوسِفَ كَتَبَ لِصَدِيقٍ لَهُ - بَعْدَ أَنْ لاَحَتْ لَهُ مِنْ لُأُمْ مِنْ لُؤُمْ - : ﴿ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي لا أَعْرِفُ لِلمَعْرُوفَ لِلمَعْرُوفِ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ ؛ فَالمَعْرُوفُ أَعْرِفُ لِلمَعْرُوفِ مَنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ ؛ فَالمَعْرُوفُ اللهَ عَرْفَ مِنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ ؛ فَالمَعْرُوفَ اللهَ عَرْفَ مِنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ ؛ فَالمَعْرُوفَ اللهَ عَرْفَ مِنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ ؛ فَالمَعْرُوفَ

⁽١) «حِكَم وَأَخْلاق عَرَبيَة » لمحمَّد المكنِّي بْنِ الحُسَيْنِ (ص ، ٤ ، ١٥).



لَدَيْكَ ضَائِعٌ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ، وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي المَعْرُوف أَنْ تَحْفُرَهُ »(١). المَعْرُوف أَنْ تَحْفُرَهُ »(١).

وَكَتَبَ الْعَتَ الِي تُصديق لَهُ: « تَأَتَّيْنَا إِفَ اقَتَكَ مِنْ مَكْرَتِكَ ، وَتَرَقَّبْنَا انْتِبَاهَكَ مِنْ رَقْدَتِكَ ، وَصَبَرْنَا عَلَىٰ سَكْرَتِكَ ، وَتَرَقَّبْنَا انْتِبَاهَكَ مِنْ رَقْدَتِكَ ، وَصَبَرْنَا عَلَىٰ تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ ، حَتَّىٰ بَانَ لَنَا الْيَاسُ مِنْ خَيْرِكَ ، وَكَشَفَ لَنَا الصَّبْرُ عَنْ وَجْهِ الْغَلَطِ فِيكَ ، فَهَأَنَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي تَعَدِّيكَ لِطَوْرِكَ ، وَاطِّرَاحِكَ حَقَّ مَعْرَفْتِكَ فِي تَعَدِّيكَ لِطَوْرِكَ ، وَاطِّرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلِطَ فِي اخْتِيارِكَ !! »(٢).

وَكَتَبَ أَحَدُهُمْ إلَى صَديق لَهُ -بَعْدَ أَنْ ذَاقَ مِنْهُ مَرَارَةَ اللَّوْمِ-: «إِنَّ مَوَدَّةَ الأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذِّلَةِ وَالصَّغَارِ، تَمِيلُ اللَّوْمِ-: «إِنَّ مَوَدَّةَ الأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذِّلَةِ وَالصَّغَارِ، تَمِيلُ مَعَهُمَا، وَتَتَصَرَّفُ فِي آثَارِهِمَا، وَقَدْ كُنْتُ أُحِلُّ مَوَدَّتَكَ مَوَدَّتَكَ بِالمَحْلُ النَّفِيسِ، وَأُنْزِلُهَا بِالمَنْزِلِ الرَّفِيعِ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ ذِلَتَكَ النَّفِيسِ، وَأُنْزِلُهَا بِالمَنْزِلِ الرَّفِيعِ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ ذِلَتَكَ المَّنْ فِي اللَّفِيعِ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ ذِلَتَكَ اللَّهُ فِي اللَّهُ فَيَعِ اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي الرَّفِيعِ مُ حَتَّىٰ رَأَيْتُ فَي اللَّهُ فِي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَي اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَي اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَا اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَا اللَّهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللْهُ لَا اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللَّهُ فَيْ اللْهُ اللْهُ فَيْ اللْهُ فَيْ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ فَيْ اللْهُ اللَّهُ فَا اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ الْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ الللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ الْمُلْهُ اللْهُ الْمُؤْلِقُ الْمُلْعُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ الل



⁽١) «العَقْدُ الفَريْد» (٢١٩/٤).

⁽٢) «العَقْدُ الفَرِيْد» (٢) «العَقْدُ الفَرِيْد» (٣٢٠/٤).

تِلْكَ - يَا بُنَيَّ - شَكُوكَ مَنْ ذَاقَ الْمَرَارَةَ، وَالسَّعِيدُ مَن اتَّعَظَ بِغَيْره.

كُمًا قبِلُ:

« تَعِسَتْ مُقَارَنَةُ اللَّئِيمِ؛ فَإِنَّهَا

شَرَقُ النُّفُوسِ ، وَمِحْنَةُ الْكُرَمَاءِ

أَنَا فِي زَمَنٍ (قُلَّبٍ)(٢) وَمَعَاشِرٍ

يَتَلَوَّنُونَ تَلَوُّنَ الحِربَاءِ

⁽٢) فِي «الدِّيَوان» (غَادر) فأصلحها محمد بن إبراهيم احَمد، كَمَا في =



⁽١) «العَقْدُ الفَرِيْد» (٢٠/٤).

قَدْ أَصْبَحُوا لِلدَّهْرِ سُبَّةَ ناقِمٍ

مِنْ كُلِّ مَصْدَرِ مِحْنَةٍ وَبَلاءِ وَبَلاءِ وَأَشَدُّ مَا يَلْقَىٰ الْفَتَىٰ مِنْ دَهْرِه

فَقْدُ الكرامِ وَصُحْبَةُ اللُّؤَمَاءِ

وَاعْلَمْ - يَا بُنَيَّ - أَنَّكَ مَهْمَا تَوسَلْتَ إِلَيْه بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ بُغْيَةَ صَلاحِه ، فَلا يُرْضِيه إِلاَّ ذَلَتُكَ، وَأَنْ تُقَسَّمَ الأَمَلِ بُغْيَةَ صَلاحِه ، فَلا يُرْضِيه إِلاَّ ذَلَتُكَ، وَأَنْ تُقَسَّمَ اللاَّئِمَةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلَسْتَ بِفَاعِلٍ الأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ اللاَّئِمَةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلَسْتَ بِفَاعِلٍ الأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ شَكْلِه ، وَهُو يَرُومُ مِثْلَهُ، فَهُوَ الدَّاءُ الَّذِي لا دَوَاءَ لَهُ.

كُمَّا قِيلُ:

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ

إِلاَّ الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا(١)



⁼ كتَابِه (الهِمَّة العَاليَة) إِلَىٰ (قُلَب) الأنَّ كَلمَة (غَادر) خَطَأُ لا يَجُوز اللهَ عَلَنَ مَا حَصَلَ فِي الزَّمَنِ فَهُوَ مِنَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - ، فَمَنْ سَبَّهُ فَقَدْ سَبَّ الله . انظر (أَلفَاظ وَمَفَاهِيم) لابْن عُثَيْمِين (ص ٥٠) .

⁽١) انظر « دِيْوَان البَارُودِيِّ » (ص٣١).

وَلَوْ حَاوَلْتَ نَشْرَ مَعْرُوفِكَ عِنْدَهُ ، وَأَحْسَنْتَ لَهُ الدَّهْرَ كُلَّهُ لَمْ تَرَ مِنْهُ إِلاَّ الجُحُودَ وَنُكْرَانَ الجَمِيلِ، وَلا يَزَالُ يَعُودُ كُلَّهُ لَمْ تَرَ مِنْهُ إِلاَّ الجُحُودَ وَنُكْرَانَ الجَمِيلِ، وَلا يَزَالُ يَعُودُ أُولُهُ عَلَىٰ آخِرِهِ، كَمَا قَالَ مَنْ عَايَنَهُ وَخَبَرَهُ أَبُو الطَّيِّب:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ

وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدَا(١)

وَوَضْعُ النَّدَا (٢)فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلا

مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

الانْقبِاضُ عَنِ اللَّئَامِ:

أَيْ بُنَيَّ، إِذَا كَانَ الاسْتِرْسَالُ^(٣) مَعَ كُلِّ أَحَد خلافَ الحَرْمِ، وَهُوَ مَعَ اللِّئَامِ عَجْزٌ؛ فَلا يَصْلُحُ الاسْتِرْسَالُ إِلاَّ

(١) لَقَدْ صَدَقَ - رَحِمَهُ اللهُ - فَإِنَّ ﴿ أَصْلَ كُلِّ عَدَاوة الصَّنيعَةُ إِلَىٰ (اللَّنَام) ﴿ الأَنْذَال ﴾ كَمَا قَال الشّافعيُّ - رَحِمَهُ الله - ﴿ تَهْذِيبُ الآدَابِ الشّرعِيَة ﴾ لابْنِ مُفْلِح (ص٢٦٤).

(٢) النَّدَا - بزَنة الفَتَىٰ - : الجُوْد وَالكَرَم .

(٣) الاسترْسَالُ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيء يَكونُ فِيْهِ الاسْتِرْسَالُ: كَالَمْرْحِ، والحِبُّ ، والبُغْضِ، ونَحْوِ ذَلِكَ.



لِثِقَة ، وَفِي خَلْوَة ؛ لأَنَّ الاسْتِرْسَالَ أَمَامَ الْعَامَّةِ إِنَّمَا يَأْتِي مِنْ تَرُّكِ التَّلَمُّحِ لِلْعَوَاقِبِ.

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّد: «إِيَّاكَ وسَقْطَةُ الاسْتِرْسَالِ؟ فَإِنَّهَا لا تُسْتَقَالُ »(١).

وَقِيلَ: «ضِنَّ بِالاسْتِرْسَالِ مِنْكَ ، حَتَّىٰ تَجِدَ لَهُ مُسْتَحَقًّا»(١).

أَيْ بُنَيَّ، النَّاسُ جُبِلُوا عَلَىٰ الْقُرْبِ مِمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُمْ ، وَالْبُعْدِ عَمَّنْ تَبَاعَدَ تَشْرُدُ وَالْبُعْدِ عَمَّنْ قَرُبَ مِنْهُمْ، فَلا تَدَعَ هَذهِ الْفَائِدَةَ تَشْرُدُ عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ بِحَاجَة إِلَيْهَا أَوْقَاتِكَ كُلَّهَا، وَمَعَ كُلِّ أَحَدٍ.

وَمِنْ غُرَرِ الْفَوَائِدِ: ﴿ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مُقْبِلٌ بِوُدِّهِ ، فَسَرَّكَ أَلَا يُدْبِرَ عَنْكَ — فَلا تُكْثِرِ الإِقْبَالَ عَلَيْهِ ، فَالإِنْسَانُ شَأْنُهُ التَّبَاعُدُ ممَّنْ قَرُبَ منْهُ ، وَالدَّنُوُّ ممَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ »(٣) .



⁽١) «مُحَاضَراتُ الأُدنَباء» (٣١/٣).

⁽٢) « مُحَاضَراتُ الأُدَبَاءَ» (٣١/٣).

⁽٣) «مُحَاضَراتُ الأُدْبَاء» (١/٥٤٥).

أَيْ بُنَيُّ، لَيْسَ الْمَرادُ أَنْ تَنْقَبِضَ عَنِ النَّاسِ، حَتَّىٰ تَصِيرَ مُتَزَمِّتًا، كَلاَّ، فَمَا هَذَا أَرَدْتُ، وَلَكِنَّ التَّوَسُّطَ فِي أُمُورِكَ مُتَزَمِّتًا، كَلاَّ، فَمَا لَكَ؛ فَقَدْ قِيلَ: ﴿ الْإِفْرَاطُ فِي التَّوَاضُعِ كُلِّهَا عَيْنُ كَمَالِكَ؛ فَقَدْ قِيلَ: ﴿ الْإِفْرَاطُ فِي التَّوَاضُعِ الْمُهَا عَيْنُ كَمَالِكَ؛ فَقَدْ قِيلَ: ﴿ الْإِفْرَاطُ فِي التَّوَاضُعِ اللَّهَانَةَ ﴾ (١). يُوجِبُ المَهَانَةَ ﴾ (١).

وَقِيلَ: « مِنَ التَّوَاضُعِ مَا يَضَعُ».

وقَالَ أَكْثَمُ بِنُ صَيْفِيِّ: « الانْقبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعَدَاوَةِ، وَالانْبِسَاطُ إِلَيْهِمْ مَجْلَبَةٌ لِقُرَنَاء السَّوْء » (٢).

وَمِنْ جَمِيلِ مَا قبِلَ فِي الاسترسالِ:

إِذَا مَا عَمَمْتَ النَّاسَ بِالأُنْسِ لَمْ تَزَلْ

لصاحب سوء مستفيدًا وكاسبا

فَإِنْ تُقْصِهِمْ يَرْمُونِكَ عَنْ ظَهْرِ بِغْضَةٍ

فَكُنْ خِلْطًا إِنْ شئتَ أَوْ كُنْ مُجَانِبا

⁽٢) « مُحَاضَراتُ الأُدبَاءِ» (٣١/٣).



⁽١) (مُحَاضَراتُ الأُدَبَاء » (١/٥٤٥).

وَلا تَنْتَبِذْ عَنْهُمْ وَلا تَدْنُ مِنْهُمُ

وَكُنْ أَمْرًا بَيْنَ ذَلِكَ مُقَارِبا(١)

أَيْ بُنَيَّ، قَدْ يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ مَعَ اللِّغَامِ للانْقبَاضِ أَقْرَبَ مِنْكَ للاسْتِرْسَالِ الأَنَّهُمْ لا يَعْرِفُونَ قَدْرَكَ إِلاَّ بِذَلِكَ، فَقَدْ قَيِلَ:

وَمَا لِي وَجْهٌ فِي اللِّمَامِ وَلا يَدُّ

وَلَكِنَّ وَجْهِيَ فِي الْكِرَامِ عَرِيضُ

أَهَشُّ إِذَا لاقَيْتُهُمْ وكَأَنَّني

إِذَا أَنَا لَاقَيْتُ اللِّكَامَ مَرِيضٌ (٢)

وَقَالَ آخُرُ:

فِيَّ انْقِبَاصٌ وَحِشْمَةٌ ، فَإِذَا

صَادَفْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالكَرَم



⁽١) «مُحَاضَراتُ الأُدَبَاء» (٣١/٣).

⁽٢) « مُحَاضَراتُ الأُدَبَاءِ» (٣٢/٣).

رِسَالَعَالَى قَلْدِي مِنْ فَيُرْكُونِ فِي الْعِيْدِي فِي الْعِيْدِينِ فِي الْعِيْدِينِ

أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَىٰ سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ(١)



⁽١) «مُحَاضَراتُ الأُدَبَاءِ» (٣٢/٣).



٢ - تَرْكُ الصَّلاة

Z

أَى بُنَيَّ، إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالصَّلاةً - وَلَوْ صَلاةً وَاحِدَةٌ - فَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنْهُ، وَلا تَعُدْ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ رَجُلُ سَوْء ؛ فَالصَّلاةُ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فإذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ رَبِّهِ فَالصَّلاةُ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فإذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ رَبِّهِ فَالصَّلاةُ وَرَازِقِهِ مِنَ الجُحُودِ وَنَكْرَانِ الجَميلِ، أَفتَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَالُهُ مَعَكَ عَلَىٰ أَحْسَنِ الأَحْوَالِ وَأَتَمِها ؟!.

يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْقَلْبَ مَكَانُ تَعْظِيمِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلالُهُ -، فَإِذَا لَمْ تُعْمِرُهُ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ ، كَانَ لِلشَّيْطَانِ مِنْهُ فَإِذَا لَمْ تُعْمِرُهُ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ ، كَانَ لِلشَّيْطَانِ مِنْهُ نَصِيبٌ ، بَلْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَسْتَحْوِذُ عَلَيْهِ ، حَتَّىٰ يَصِيرَ صَاحِبُهُ مِنْ جُنُوده وَأَعْوَانه.

وَإِذَا رَأَىٰ إِبْلِيسُ غُـرَّةَ وَجْهِهِ

حَيًّا وَقَالَ : فَدَيْتُ مَنْ لَمْ يُفْلح



رسَالَقِالِي وَلَدِي مِرْقُ الْكِنَافِي الْمُعَالِينِ مِرْقُ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ مِنْ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ مِنْ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ مِنْ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَالِينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعَلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلَّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِّينِ الْمُعِلِيلِي الْمُعِينِ الْمُعِلْمِينِ الْمُعِلِي الْمُعِلِي عِلْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْ

وَإِذَا كَانَ العِلْمُ - يَا بُنَيَّ - قَدْ لَزِمَ بِعَزْلِ المَرِيضِ عَنِ الصَّحِيحِ، ولاسيَّمَا إِذَا كَانَ المَرضُ مُعْدِيًا؛ فَعَزْلُ مَرِيضِ المَدِينِ أَوْلَىٰ مِنْ عَزْلِ مَرِيضِ الْبَدَنِ.





٣ - الحرِّصُ عَلَى الدُّنْيَا

أَيْ بُنَيَّ، لا تُصَاحِبْ حَرِيصًا عَلَىٰ الدُّنْيا، وَلا يَكُنْ هَمُّكَ مُجَالَسَةَ أَهْلِهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُوكَ للتَّطَلُّعِ إِلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْه.

وَاللّٰهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - قَدْ أَمَرَ بِالإِعْرَاضِ عَمَّنْ هَذَا حَالُهُ، فَقَالَ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ حَالُهُ، فَقَالَ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَولَىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٦ ﴾ [النَّجْمُ: ٢٩].

وَالنَّبِيُّ - عَيْكُ - كَرِهَ لأُمَّتِهِ النَّظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا، ومَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَلاسِيَّمَا مَتَىٰ خَشِيَ المَرْءُ أَنْ يَزْدَرِيَ هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَلاسِيَّمَا مَتَىٰ خَشِي المَرْءُ أَنْ يَزْدَرِيَ نعْمَةَ الله عَلَيْه، فَالصُّحْبَةُ أَوْلَىٰ بِتَرْكِهَا.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - وَالْكُ مَنْ فُضِّلَ عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْ مَنْ فُضِّلَ عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْ مَنْ فُضِّلَ



عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْحَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُو أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُو أَجْدَرُ أَلاَّ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ فَضِّلَ عَلَيْهِ . وَزَادَ مُسْلِمٌ: «فَهُو أَجْدَرُ أَلاَّ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ »(١).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: (هَذَا الْحَدِيثُ جَامِعٌ لَمُعَانِي الْخَيْرِ؛ لأَنَّ المَرْءَ لاَ يَكُونُ بِحَالٍ تَتَعَلَّقُ بالدِّينِ مِنْ لَمَعَانِي الْخَيْرِ؛ لأَنَّ المَرْءَ لاَ يَكُونُ بِحَالٍ تَتَعَلَّقُ بالدِّينِ مِنْ عَبَادَة رَبِّهِ مُجْتَهِدًا فِيهَا – إِلاَّ وَجَدَ مَنْ هُو فَوْقَهُ، فَمَنْ طَلَبَتْ نَفْسُهُ اللَّحَاقَ بِهِ اسْتَقْصَرَ حَالَهُ، فَيَكُونُ أَبَدًا فِي طَلَبَتْ نَفْسُهُ اللَّحَاقَ بِهِ اسْتَقْصَرَ حَالَهُ، فَيكُونُ أَبَدًا فِي زِيَادَة تُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَلا يَكُونُ عَلَىٰ حَالٍ خَسيسَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، إِلاَّ وَجَدَ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ هُو أَخَسُّ حَالاً مِنْهُ، فَإِذَا لَكُنْ فَي ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّ نِعْمَةَ اللهِ وَصَلَتْ إِلَيْهِ دُونَ كَثِيرٍ الشَّكْرَ فِي ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّ نِعْمَةَ اللهِ وَصَلَتْ إِلَيْهِ دُونَ كَثِيرٍ الشَّكْرَ، فَيعْظُمُ اغْتِبَاطُهُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ أَوْجَبَهُ، فَيُلْزِمُ نَفْسَهُ الشَّكْرَ، فَيعْظُمُ اغْتِبَاطُهُ بِذَلِكَ فِي مَعَادِهِ » (٢).

⁽٢) ﴿ فَتُحُ البَارِي ﴾ (١١/ ٣٣٠).



⁽١) رَوَاهُ البُّخَارِيُّ (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

فَإِذَا عَلَمْتَ ذَلِكَ - يَا بُنَيَّ - فَاصْحَبْ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فِي الْعَلْمِ وَالدِّينِ، وَمَنْ هُوَ دُونَكَ فِي الدُّنْيَا.

فَقَدْ قِيلَ: «إِذَا عَلَمْتَ فَلا تُفَكِّرْ فِي كَثْرَةِ مَنْ دُونَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ»(١).

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عُتْبَة : «صَحِبْتُ الأَغْنيَاءَ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَكْثَرَ هَمَّا مِنِّي؛ أَرَىٰ دَابَّةً خيرًا مِنْ دَابَّتِي، وَثَوْبًا خَيْرًا مِنْ ثَوْبِي، وصَحِبْتُ الْفُقَرَاءَ ، فَاسْتَرَحْتُ ».

وَقَال ابْنُ الْعَمِيدِ:

مَنْ شَاءَ عَيْشًا هَنِيئًا يَسْتَفِيدُ بِهِ

في دينه ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالا فَي دَينهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالا فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَىٰ مَنْ فَوْقَهُ أَدَبًا

وَلْيَنْظُرَنَّ إِلَىٰ مَنْ دُونَهُ مَالا(٢)



⁽١) «أَدَبُ الدُّنْيَا والدِّينِ» (ص٧١).

 ⁽٢) «أَدَبُ الدُّنْيَا والدِّين» (ص٧١).

1

 $\angle S$

أَيْ بُنَيَّ، النَّمَّامُ لا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا، وَكَذَلكَ المُغْتَابُ؛ فَإِنَّهُ لا يَزَالُ يَقَعُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، وَيُسْمِعُكَ مَا تَكْرَهُ، وَلا يَزَالُ هَذَا دَأْبَهُ، حَتَّىٰ تُصْبِحُ الْغِيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ عِنْدَكَ كَالْعَسَلِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُرَّةً كَالْعَلْقَمِ.

وَقَدْ قِيلَ: «إِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ الشِّرِّيرِ؛ فَإِنَّ طَبْعَكَ يَسْرِقُ مَنْ طَبْعه ، وَأَنْتَ لا تَدْري »(٢).

فَاعْرِضْ - يَا بُنَيَّ -عَمَّنْ هَذَا حَالُهُ؛ فَإِنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - يَقُولُ: ﴿إِنَّ السَّمْعُ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولْئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦) ﴾ [الإسرَاءُ: ٣٦].

وَيَقُولُ: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِينَ (١٦٠ ﴾ [الأَنْعامُ: ٦٨].

⁽١) «الذريعَة إلى مكارم الشريعة» للرَّاغب الأصبهانيِّ (ص١٩٣).



وَيَقُولُ - سُبْحَانهُ - فِي وَصْفَ عِبَادِهِ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغُو اَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [القَصَص: ٥٥].

فَمنْ هَذهِ النُّصُوصِ وَغَيْرِهَا - يَا بُنَيَّ - تَعْلَمْ أَنَّ الْتِفَاتَ الْفُؤَادِ وَالسَّمْعَ لِلْغِيْبَةِ مَسْتُولِيَّةٌ نُحَاسَبُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقيَامَة.

وَنَفْهَمُ مِنْهَا - أَيْضًا - تَحْرِيمَ الجُلُوسِ إِلَىٰ المُغْتَابِينَ، وَأَنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَىٰ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَأَنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَىٰ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَنَحْوهمَا منْ صفَات الْمُؤْمنينَ.

وَمَتَىٰ وَافَقْتَهُ - يَا بُنَيَّ - عَلَىٰ قَوْلِهِ ، وَأَعَرْتَهُ سَمْعَكَ ، فَأَنْتَ - لاشكَّ - شَرِيكُهُ فِي الإِثْمِ ، كَمَا قِيلَ:

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ

كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهُ

فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقَسِيحِ

شريك لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهُ



٥ - الْتَلُونُ

Ø

أَيْ بُنَيَّ، ذُو الوَجْهَيْنِ لا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ، وَحَقِيقَةُ ذي الوَجْهَيْنِ - يَا بُنَيَّ - هُوَ : الَّذِي يَأْتِي كُلَّ إِنْسَانَ بِمَا يُرْضِيهِ ، وَيَلْبَسُ لِكُلِّ حَالاتٍ لِبُوسَهَا ، كَمَا قِيلَ:

يَدُورُ مَعَ الزُّجَاجَةِ حَيْثُ دَارَتْ

وَيَلْبَسُ لِلسِّيَاسَةِ أَلْفَ لِبْسِ

فَعِنْدَ الْسُلِمِينَ يُعَدُّ مِنْهُمْ

وَيَأْخُذُ سَهْمَهُ مِنْ كُلِّ خُمْسِ

وَعِنْدَ المُلْحِدِينَ يُعَمِدُ مِنْهُمْ

وَعَنْ مَارْكِسٍ يَجْفَظُ كُلُّ دَرْسِ

وَعِنْدَ الإِنْجِلِينِ يُعَدُّ مِنْهُمْ

وَفِي بَارِيسَ مَحْسُوبٌ فَرَنْسِيّ



وَذُو الوَجْهَيْنِ يَأْتِيكَ يَحْلفُ لَكَ أَنَّهُ مَعَكَ، وَعَلَىٰ رَأْيِكَ، وَيَأْتِي غَيْرَكَ فَيُظْهَرُ لَهُ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَكَ.

قَالَ أَحْدُهُمْ:

أَنَا كـــالْمِرْآةِ أَلْقَىٰ كُلَّ وَجْه بِمِـــــــالِهِ

وَقَدْ يَذُمُّكَ عِنْدَهُ ، وَيَذُمُّ غَيْرَكَ عِنْدَكَ، وَهَذَا غَايَةُ السُّقُوطِ.

يَا مَنْ تَلُوَّنَ فِي الطِّبَاعِ أَمَا تَرَىٰ

وَرَقَ الْغُصُونِ إِذَا تَلَوَّنَ يَسْقُطُ

وَأَنْتَ - يَا بُنَيَّ - بِفِطْرَتِكَ تَنْفِرُ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ، فَلَا تَرْتَاحُ لَهُ نَفْسُكَ ، وَلَا تُعيرُهُ اهْتَمَامَكَ وَحَالَكَ.

إِلَيْكَ عَنِّي فَلَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَىٰ

عضاض الأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ عِضَاضَ الأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ وَالنَّبِيُّ - عَلَيْكُ - حَذَّرَ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ،



وَبَيْنَ حَالَهُ ؛ لِيَحْذَرَهُ النَّاسُ ، وَلِيُحَذِّرُوا مِنْ عَمَلِهِ.

فَفِي «الصَّحيحَيْنِ»(١) منْ حَديث أبي هُريْرَةَ اللهِ عَلَيْثَةً - : «تَجِدُ مِنْ شِرَارِ اللهِ - عَلَيْثَةً - : «تَجِدُ مِنْ شِرَارِ النَّه بَوْمَ الْقيامَة عنْدَ اللهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بوَجْه، وَهَؤُلاء بوجه، وَهَؤُلاء بوجه اللهِ .

وَوَصَفَ أَحَدُهُمْ صَاحِبًا لَهُ ، فَقَالَ: «مَوَدَّتُهُ مُتَنَقِّلَةٌ كَتَنَقُّلَةٌ كَتَنَقُّلَةٌ كَتَنَقُّل الأَفْيَاء (٢)، وَأُخُوَّتُهُ مُتَلَوِّنَةٌ كَتَلَوُّن الحرباءِ»(٣).

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوُّنِهِ

أَنَاصِحٌ أَمْ عَلَىٰ غِشِّ يُدَاجِينِي ؟(١)

تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ ، وَتَمْدَحُنِي

فِي آخَرِيْنَ، وَكُلُّ مِنْكَ يَأْتِيني (٥)

⁽١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧١٧٩)، ومسلم (٢٥٢٦).

⁽٢) الأَفيَاء: جَمْعُ فَيْءٍ - بِالفَتْحِ - وَهُوَ مَا كَانَ شَمْسًا فَيَنْسَخُهُ الظَّلُّ.

⁽٣) «مُحَاضَراتُ الأُدَبَاءِ» (٣/ ٤٠).

⁽٤) المُدَاجاة : المُدَارَاة وَالمُلاطَفة .

⁽٥) «مُحَاضَراتُ الأُدبَاء» (٣/٢).

وَكَانَ السَّلَفُ أَشَدَّ نُفُورًا مِمَّنْ عُرِفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ سَعِيدُ بِنُ عُرُوةَ - رَحِمَهُ الله - : (لأَنْ يَكُونَ لِي نَصْفُ وَجْه، وَنِصْفُ لِسَانٍ عَلَىٰ مَا فِيهِمَا مِنْ قُبْحِ المَنْظَرِ، وَعَجْزِ المَخْبَرِ - أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ ذَا وَجْهَيْنِ ، وَذَا لِسَانَيْنِ، وَذَا قَوْلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ » (١).

وَقَدْ تَتَابَعَتِ الشَّكُوكَ مِمَّنْ هَذَا حَالُهُ؛ إِذْ لا يَسْلَمُ مِنْهُ عَصْرٌ وَلا مِصْرٌ (٢) ، وَمَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلاَّ وَقَدِ ابْتُلِيَ مِنْ النَّاسِ، إِلاَّ مَا نَدَرَ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَاصِفًا بَعْضَ مَنْ قَدِ ابْتُلِيَ الْمُعْفَ مَنْ قَدِ ابْتُلِيَ

⁽٢) المِصْرُ - بالكَسْرِ - البَلَد ، والجَمْعُ : أَمْصَارٌ .



⁽١) «أَدَبُ الدِّنْيَا والدِّين» (ص٢٦٧).

رسالة إلى ولدي مِرْجُ الْمُحَالِدِي مِرْجُ الْمُحَالِدِي ؟

وكم من صديق وده بلسانه خُون بطهر الغيب لا يَتَذَمَّمُ (١) خُون بِطَهْر الْغَيْب لا يَتَذَمَّمُ (١) يُضَاحِكُنِي عَجَبًا إِذَا مَا لَقِيْتُهُ وَيُقَدْعُنِي الْمَا لَقِيْتُهُ وَيُقَدْعُنِي (٢) مِنْهُ - إِذَا غِبْتُ - أَسْهُمُ كَذَلِكَ ذُو الْوَجْهَيْنِ يُرْضِيكَ شَاهِدًا وَفَي غَيْبه إِنْ غَابَ صَابٌ (٣) وَعَلْقَمُ (١)



⁽٤) ﴿ أَدَبُ الدُّنْيَا والدِّينِ ﴾ (ص٢٦٧).



⁽١) لا يَتَذَمَّمُ: لا يَسْتَنْكَفُ.

⁽٢) أَقْذَعَهُ: رَمَاهُ بالفُحْشُ وَسُوْء القَوْل .

⁽٣) صَابُ: شُجَرُ مُرٌّ كالعُلْقَم ، وَاحدُهُ صَابَةٌ .

١ - الحسك

ØS.

أَيْ بُنَيَّ، الحَاسَدُ لا يَكُنْ لَكَ صَاحِباً، فَهُو يَتَمَلَّقُ لَكَ عِنْدَ عِنْدَ حُضُورِكَ، وَيَغْتَابُكَ فِي غَيْبَتِكَ، وَيَشْمَتُ عِنْدَ مُصيبَتك، تَلاثُ خِصَالٍ اعْرَفْهُ بِهَا، وَدَلِيلُ مَا فِي قَلْبِهِ كَمِيْنٌ عَلَىٰ وَجُهِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ إِلَيْهِ ذَنْبٌ إِلاَّ دَوَامَ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ. قَالَ الْعُتُبِيُ:

أُفَكِّرُ مَا ذَنْبِي إِلَيْكَ فَلا أَرَىٰ

لِنَهْسِيَ جُرْمًا، غَيْرَ أَنَّكَ حَاسِدُ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامِ الطَّائِيُّ:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَصِيلَةٍ

طُوِيَتْ، أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ



لَوْلا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ

مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ لَوْلا التَّخُوُّفُ للْعَوَاقب لَمْ تَزَلْ

لِلْحَاسِدِ النُّعْمَىٰ عَلَىٰ المَحْسُودِ

وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ تُرْجَىٰ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ الْحَاسِدَ فَإِنَّهُ لا يَرْضَىٰ عَنْكَ ، حَتَّىٰ تَزُولَ نِعَمُ اللهِ عَلَيْكَ ؛ فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ ؛ فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْ نَفْسِهِ وَعَيْنِهِ لَيْسَ كَالَّذِي يُؤْذِيكَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ.

وَلَقَدُ أَحْسَنَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ حِيْنَ قَالَ :

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا

إِلاَّ الحَـسُـودَ فَـإِنَّهُ أَعْـيَـانِي

لا أَنَّ لِي ذَنْبًا لَدَيْه عَلمْ تُهُ

إِلاَّ تَظَاهُرَ نِعْهَمَةِ الرَّحْمَن

يَطْوِي عَلَىٰ حَنَقٍ حَشَاهُ لأَنْ رأَىٰ

عِنْدِي كَمَالَ غَنِيَّ وَفَضْلُ بَيَانِ



مَا إِنْ أَرَىٰ يُرْضِيْهِ إِلاَّ ذِلَّتِي

وَذَهَابُ أَمْ وَالِي وَقَطْعُ لِسَانِي

الا يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَالحَسَدُ:

وَالْحَسَدُ مَتَىٰ حَلَّ فِي قَلْبِ عَبْد، ارْتَحَلَ عَنْهُ الإِيمَانُ، وأَيُّ عَبْد ارْتَحَلَ عَنْ قَلْبِهِ الإِيمانُ لَا يُرْجَىٰ خَيْرُهُ، ولا يُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَعَبْدٌ هَذَا حَالُهُ لا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُصَاحَبَ.

فَفِي «سُنَنِ النَّسَائِيِّ»(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - خُلَّكُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - عَلَيْكُ - قَالَ: «لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَالْ: عَبْدِ: الإِيمَانُ، وَالْحَسَدُ».

وَقَدْ تَتَابَعَتْ تَحْذِيرَاتُ الْعُلَمَاءِ قَرْنًا بَعْهِدَ قَرْن مِنْ مُصَاحَبَةِ الْحَاسِد، وَقَدْ قَيلَ: إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُوجَدُ الْحَسَدُ مِنَ الْمُقَارِب. الْجَيرَان ، وَالأَصْحَاب، ثُمَّ مِنَ الأَقَارِب.

⁽١) حَسَنٌ ، أَخْرَجَهُ النِّسَائِي (٣١١١)، وابْنُ حِبَّانَ فِي «صحيحه» (٢٨٨٦)، وَحَسَّنه الأَلبَانِيُّ فِي «صَحِيْح التَّرغِيب» (٢٨٨٦).



قَالَ ابْنُ حِبَّانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « أَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الْحَسَدُ بَيْنَ الأَقْرَان^(١)، أَوْ منْ تَقارُب الشَّكْل^(٢)؛ لأَنَّ الكَتَبَةَ لا يَحْسُدُهَا إِلاَّ الكَتَبَةُ، كَمَا أَنَّ الحَجَبَةَ لا يَحْسُدُهَا إِلاَّ الحَجَبَةُ، وَلَنْ يَبْلُغَ المَرْءُ مَرْتَبَةً منْ مَرَاتب هَذه الدُّنْيَا، إِلاَّ وَجَدَ مَنْ يُبْغِضُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَحْسُدُهُ فيهَا، وَالْحَاسِدُ خَصْمٌ مُعَاندٌ، لا يَجبُ للْعَاقلِ أَنْ يَجْعَلَهُ حَكَمًا عنْدَ نَائبَة تَحْدُثْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ حَكَمَ لَمْ يَحْكُمْ إِلاَّ عَلَيْه، وَإِنْ قَصَدَ لَمْ يَقْصِدْ إِلاَّ لَهُ، وَإِنْ حَرَمَ لَمْ يَحْرِمْ إِلاَّ حَظَّهُ، وَإِنْ أَعْطَىٰ أَعْطَىٰ غَيْرَهُ، وَإِنْ قَعَدَ لَمْ يَقْعُدْ إِلاَّ عَنْهُ، وَإِنْ نَهَضَ لَمْ يَنْهَضْ إِلاَّ إِلَيْه، وَلَيْسَ للْمَحْسُود عنْدَهُ ذَنْبٌ إِلاَّ النِّعَمَ الَّتِي عنْدَهُ.

فَلْيَحْلَدَرِ الْمَرْءُ مَا وَصَفْتُ مِنْ أَشْكَالِهِ، وَأَقْرَانِهِ، وَأَقْرَانِهِ، وَأَقْرَانِهِ، وَجَيرَانه، وَبَنِي أَعْمَامه »(٣).

⁽٣) «رَوَّضَةُ العُقَلاءِ» (ص ١٠٨-١٠٩).



⁽١) الأَقَرَان: جَمْعُ قِرْن إِبالكَسْرِ -، وَهُوَ كُفْؤُكَ فِي الشَّجَاعَةِ، وَالعِلْمِ، وغَيْرِهمَا.

⁽٢)الشَّكْل-بالفَتْحَ والكَسْرِ-المِثْل، والجَمْعُ أَشْكَالٌ وشُكُولَكٌ .

وَمِنْ دُرَرِ الْصَلاَّ مَةِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلُهُ:

(الْعُزْلَةُ عَنِ الْحُلْقِ سَبَبُ طيب الْعَيْشِ، وَلَابُدَّ مِنْ مُخَالَطَة بِمِ قَلْدَارٍ، فَدَارِ الْعَدُوَّ واسْتَحله (١)؛ فَرُبَّمَا كَادَكَ بِمِ قَلْدَارٍ، فَدَارِ الْعَدُو واسْتَحله (١)؛ فَرُبَّمَا كَادَكَ فَأَهْلَكَكَ، وَاسْتَعِنْ عَلَىٰ فَأَهْلَكَكَ، وَاسْتَعِنْ عَلَىٰ فَأَهْلَكَكَ، وَاسْتَعِنْ عَلَىٰ فَأَهْلَكَكَ، وَاسْتَعِنْ عَلَىٰ أَمُورِكَ بِالْكَتْمَان، وَلْتَكُنِ النَّاسُ عِنْدَكَ مَعَارِف، فَأَمَّا أُمُورِكَ بِالْكَتْمَان، وَلْتَكُنِ النَّاسُ عِنْدَكَ مَعَارِف، فَأَمَّا أَصْدقاء فَلا؛ لأنَّ أَعَزَّ الأَشْيَاء وُجُودُ صَدِيقٍ، ذَاكَ أَنَّ الصَّدَيق يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ في مَرْتَبَة مُمَاثِلٍ.

فَإِنْ صَادَفْتَهُ عَامِّيًّا لَمْ تَنْتَفِعْ بِهِ ؛ لِسُوءِ أَخْلاقِه، وَقِلَةِ عِلْمِهِ وَأَدَبِهِ، وَإِنْ صَادَفْتَ مُمَاثِلاً أَوْ مُقَارِبًا حَسَدَكَ.

وَإِذَا كَانَ لَكَ يَقَظَةٌ، تَلَمَّحْتَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَقُوالِهِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ حَسَدِكَ ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لِنْ الْقَوْلِ ﴾ [مُحَمَّد: ٣٠].

وَإِذَا أَرَدْتَ تَأْكِيدَ ذَلِكَ ، فَضَعْ عَلَيْهِ مَنْ يَضَعُكَ عِلَيْهِ مَنْ يَضَعُكَ عِنْدَهُ، فَلا يَخْرُجُ إِلَيْهِ إِلاَّ بِمَا فِي قَلْبِهِ.



⁽١) علَّها: اسْتَملهُ.

فَإِنْ أَرَدْتَ الْعَيْشَ فَابْعِدْ عَنِ الْحَسُودِ ؟ لأَنَّهُ يَرَىٰ نِعْمَتَكَ ، فَرُبَّمَا أَصَابَهَا بِالْعَيْنِ.

فَإِن اضْطُرِرْتَ إِلَىٰ مُخَالَطَتِهِ، فَلا تُفْشِ إِلَيْهِ سَرَّكَ ، وَلا تُفْشِ إِلَيْهِ سَرَّكَ ، وَلا تُشَاوِرْهُ، وَلا يَغُرَّنَكَ تَمَلُّقُهُ لَكَ، وَلا مَا يُظْهِرُهُ مِنَ الدِّينِ وَالتَّعَبُّدِ؛ فَإِنَّ الحَسدَ يَغْلِبُ الدِّينَ.

وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ قَابِيلَ أَخْرَجَهُ الْحَسَدُ إِلَىٰ الْقَتْلِ، وَأَنَّ ا إِخْوَةَ يُوسُفَ بَاعُوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ (١).

وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْعُقَلاءِ، وَعَبْدُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ أَبِيِّ مِنَ الرُّوَسَاءِ ، أَخْرَجَهُ مَا حَسَدُ رَسَولِ اللهِ اللهِ اللهِ حَسَدُ رَسَولِ اللهِ اللهِ حَسَدُ رَسَولِ اللهِ حَسَدُ رَسَولِ اللهِ اللهِ حَسَدُ رَسَولِ اللهِ حَسَدُ رَسَولِ اللهِ اللهِ حَسَدُ رَسَولِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ مِنَ النِّهُ النِّهُ أَقِ ، وَتَرْكِ الصَّوابِ .

وَلا يَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِحَاسِدِكَ عُقُوبَةً أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ فِيه؛ فَإِنَّهُ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ مُتَّصِلٍ لا يُرْضِيه إِلاَّ زَوَالُ نِعْمَتِكَ.

⁽١) البَخْس: - بالفَتْع- النَّاقِص.



وَكُلَّمَا امْتَدَّتِ امْتَدَّ عَذَابُهُ، فَلا عَيْشَ لَهُ، ومَا طَابِ عَـيْشُ لَهُ ، ومَا طَابِ عَـيْشُ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ حِينَ نُنِعَ الْحَـسَـدُ وَالْغِلُّ مِنْ صُدُورِهِمْ.

وَلَوْلا أَنَّهُ نُزِعَ تَحَاسَدُوا ، وَتَنَغَّصَ عَيْشُهُم »(١).

أَيْ بُنَيَّ، عَلَنِي قَدْ أَطَلْتُ عَلَيْكَ؛ فَدَعْنِي أَخْلُصْ إِلَىٰ فَائدَة يَعِيهَا قَلْبُكَ: «الحَسَدُ منْ أَخْلاق اللِّئَام».

أَيْ بُنَيَّ، الحَسَدُ مِنْ أَخْلاقِ اللِّمَامِ، وَلا يَكُونُ إِلاَّ مِنْ مَهَانَةِ نَفْسٍ، وَسُوءِ طَبْعِ.

وَهُوَ - أَيْضًا - مِنْ أَخْلاقِ اللّهَ اللهَ اللهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فِيهِمْ: ﴿ إِنْ تَمْسَسُكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوُّهُمْ وَإِن تَمْسَسُكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوُّهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّنَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِبْرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢) ﴾ [آل عمران: ١٢٠].



⁽١) «صَيْدُ الخَاطر» (ص٣٦٧).

التَّخلُصُ مِنْ صُحْبَةِ الحَاسِدِ:

عَلَيْكَ - يَا بُنَيَّ - بِتَفْوَىٰ اللهِ فِي السِّرِ وَالْعَلَنِ، وَالْحَانِ اللهِ فِي السِّرِ وَالْعَلَنِ، وَالْحَافَظَةِ عَلَىٰ أَذْكَارِ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْمُوِّذَتَانِ، وَفِرَّ مِنْ صَاحِبٍ هَذَا حَالُهُ فِرَارَكَ مِنَ الأسد، وَلا يَضُرُّكَ بَعَدَ ذَلكَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَقَدْ قَالَ عِمَازَةُ بنْ عَقيلٍ:

مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللِّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ

ذُو الْفَضَل يَحسُدُهُ ذَوُو النُّقْصَان

وَمَا أَجْمَلَ قَوْلُ ابْنُ الجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - فيما نَحْنُ لَدُنْدِنُ حَوْلَهُ:

« رَأَيْتُ كِلابَ الصَّيْدِ إِذَا مَرَّتْ بِكلابِ المَحَلَّةِ (١) نَبَحَتْهَا، وَبَالَغَتْ وَأَسْرَعَتْ خَلْفَهَا، وَكَأَنَّهَا تَرَاهَا مُكَرَّمَةً

⁽١) المُحَلَّة : المُنْزل .



مُجَلَّلَةً ، فَتَحْسُدُهَا عَلَىٰ ذَلكَ.

وَرَأَيْتُ كلابَ الصَّيْد حينَئذ لا تَلْتَفتُ إِلَيْهَا، وَلا تُعيرُهَا الطَّرْفَ ، وَلا تُعدُّ نُبَاحَهَا شَيْئًا، فَرأَيْتُ أَنَّ كلابَ الصَّيْد كأنَّهَا لَيْسَتْ منْ جنْس تلْكَ الْكلاب؛ لأَنَّ تلْكَ غَليظةً الْبَدَن ، كَثيفَةُ الأَعْضَاء، لا أَمَانَةَ لَهَا، وَهَذه لَطيفَةٌ دَقيقَةُ الخلْقَة، وَمَعَهَا آدَابٌ قَدْ نَاسَبَتْ خلْقَتَهَا اللَّطيفَة، وَإِنَّهَا تَحْبِسُ الصَّيْدَ عَلَىٰ مَالكهَا خَوْفًا منْ عقَابه، أَوْ مُرَاعَاةً شُكْر نعْمَته عَلَيْهَا؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الأَدَبَ وَحُسْنَ الْعشْرَة تَتْبَعُ لَطَافَةَ الْبَدَن ، وَصَفَاءَ الرُّوْح، وَهَكَذَا الْمُؤْمنُ الْعَاقِلُ لا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ حَاسِده ، وَلا يعُدُّهُ شَيْئًا؛ إِذْ هُوَ في وَادٍ ، وَذَاكَ فِي وَادِ ، ذَاكَ يَحْسُدُهُ عَلَىٰ الدُّنْيَا، وَهَذَا همَّتُهُ الآخرَةُ ، فَيَا بُعْدَ مَا بَيْنَ الوَاديَيْنِ! » (١).



⁽١) «صَيْدُ الخَاطر» (٣٥٧،٣٥٦).

٧-الكنان

Z

أَيْ بُنَيَّ، الكَذَّابُ لا يكُنْ لَكَ صَاحِبًا، وكَيْفَ تُصَاحِبًا، وكَيْفَ تُصَاحِبُ مَنْ مَلَّهُ الْعُقَلاءُ، وزَهَدَ فِيهِ كُلُّ ذِي لُبٍّ، وَمَلَّهُ تُصاحِبُ مَنْ مَلَّهُ الْعُقَلاءُ، وزَهَدَ فِيهِ كُلُّ ذِي لُبٍّ، وَمَلَّهُ حَتَّىٰ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ ؟! ؟ لأَنَّ «مَنِ اسْتَحْلَىٰ رِضَاعَ الكَذب عَسُرَ فطَامُهُ »(١).

وَ « لا يَلْزَمُ الكَذَّابُ شَيءٌ إِلاَّ غَلَبَ عَلَيْهِ »(١).

وَ« مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ صَديقُهُ »(٣).

وَالنَّبِيُّ - عَلَيْ - يَقُدولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَاإِنَّ الكَذبَ يَهْدي إِلَىٰ النَّار، الكَذبَ يَهْدي إِلَىٰ النَّار،

⁽٣) «أَدَبُ الدُّنْيَا والدِّين» (ص٢٨٩).



⁽١) «أَدَبُ الدِّنْيَا والدِّين» (ص٢٩٢).

⁽٢) ﴿ أَدَبُ الدُّنْيَا والدِّينِ ﴾ (٣٩٢).

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» (١).

وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ، فَقَدْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ؛ لأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: «إِنَّمَا يَكْذِبُ الْكَاذِبُ مِنْ مَهَانَةِ نَفْسٍ (٢).

وَقَالَ الجَاحِظُ: «لَمْ يَكُذِبْ أَحَدٌ - قَطْ - إِلاَّ لِصِغَرِ قَدْر نَفْسِهِ عِنْدَهُ »(٣).

وَلَقَدْ أَحْسَنَ صَالِحُ بنْ عَبْدِ القُدُسِ حِيْنَ قَالَ :

وَدَعِ الكَذُوبَ، وَلا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا

إِنَّ الكَذُوبَ لَبِئْسَ خِلاًّ(٤) يُصْحَبُ (٥)

⁽ ٥) انظر « جَوَاهر الأدّب » لأحْمد الهاشميّ (ص٦٦٩) .



⁽١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٠٩٤)، ومُسلم (٢٦٠٧)، مِنْ حَدِيْث عَبد اللهِ ابن مسعود - رَائِنَهُ - .

⁽٢) «رَوَّضَة العُقَلاء» (ص٧٨).

⁽٣) «أَدَبُ الدِّنْيَا والدِّينِ» (ص٢٩٢).

⁽٤) الخِلُّ-بالكَسْرِ والضَّمِّ - : الصَّدِيْقِ المُخْتَصُّ ، والجَمْعُ أَخْلال .

٨ - الرَّغْبُةُ فيمًا لا يَمْلكُ

الْمُرْتَعْبُ - يَا بُنَيَّ - هُوَ الرَّاعْبُ إِلَىٰ غَيْر مَا عَنْدَهُ، وَهُوَ هُنَا مَنْ قَصَرَ همَّتَهُ عَلَىٰ مُلاحقَة النِّسَاء، فَهَـذَا صُحْبَةُ الْكَلْبِ خَيْرٌ منْ عشْرَته(١)؛ إذْ لَيْسَ لَهُ حُرْمَةٌ ، وَلا مُرُوءَةٌ وَلا أَدَبٌ، فَهُوَ سَاقطُ الْقَدْر، دَنيءُ الهمَّة، رَقيقُ الدِّين، لا يَقْنَعُ بمَا عنْدَهُ، وَلا يَطيبُ عَيْشُهُ إِلَّا بِالتَّطَلُّع إِلَىٰ ما في رحَال غَيْره، كَمَا قَالَ أَحَدُهُمْ - وَقَدْ سُئِلَ: مَا أَطْيَبُ الْعَيْشِ؟ - قَالَ: بَيْضَاءُ رُعْبُوبة (٢) ، بالطِّيب مَشْبُوبَةٌ (٣)، بالشَّحْم مَكْرُوبَةٌ (١).

وَمثْلُ هَذَا الصَّنْف لا يَنْفَعُ مَعَهُ لَوْمَةُ لائم، كَمَا قَالَ أَحَدُهُمْ: .

⁽٤) المَكْرُوبَة: الشَّديْدة الخَلْق وَالقُوك .



⁽١) لا تَظُنَّ يا بُنيَّ - أنِّي قَدَ بالغتُ، فإِنَّهُ قَدْ قيْلَ: ﴿ كَلْبٌ سَاخرٌ خَيْرٌ منْ صَديْقٌ غَادر » وَأَيُّ غَدْر أعظم من الرَّاغب إلى مَا فِي رَحْلِ غَيْرِه ؟!. (٢) الرُّعْبُوبة: النَّاعِمَة.

⁽٣) شُبَّهَا الطُّيْبُ: زَادَ في حُسْنهَا.

أَجِدُ الْمَلامَةَ في هَوَاك لَذيذَةً

حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ(١)

وَقَالَ آخَرُ:

عَذْلُ الْعَوَاذِلِ حَوْلَ قَلْبِي التَّائه

وَهُوكَ الأَحبَّة فيه مِنْ سَوْدَائه(٢)(٣)

وَهَذَا - يَا بُنَيَّ - غَايَةُ السَّفَهِ ، كَمَا قَيْلَ :

أرَىٰ سَفَهًا لِلْمَرْءِ تَعْلِيقَ قَلْبِهِ

بِغَانِيَةً (1) خَوْد (٥) مَتَىٰ تَدُن بَعُد (٦)



⁽١) البَيت لأبي الشِّيص، انظر «الزَّهَرَة» لأبي بَكْرٍ مُحَمَّد بْنِ دَاوُدَ الزَّهَرَة » لأبي بَكْرٍ مُحَمَّد بْنِ دَاوُدَ اللَّاصِبَهَانيِّ، تَحْقَيْقُ الدُّكَتور / إِبرَاهيمَ السَّامرائيِّ.

⁽٢) سَوْدَاءُ القَلْب : حَبَّتُهُ .

⁽٣) «ديوانُ المُتَنَبِّي» بشرح العُكْبَريِّ (١/١).

⁽٤) الغَانيَة : المُسْتَغْنية بحُسْنهَا عَنِ الزِّيْنَة ، وَالْجَمْعُ عَرَانٍ .

⁽٥) الخَوْد-بالفَتْح- الشَّابَةَ الْحَسَنَةُ الْخَلْقِ النَّاعِمَةُ وَالْجَمْعُ خُوْدَاتٌ وَخُوْدٌ.

⁽٦) «دينوالُ الأعشكي» (ص٤٧).

أَلا قَبَّحَ اللهُ نَفْسًا تَتَحَرَّىٰ الْعزَّ فيما يُذلُّهَا!، أَمَا كَانَ فيهم نَفْسٌ تَسْمُو إِلَىٰ مَعَالِي الأُمُور كَنَفْسِ أَبِي عَلِيٍّ الشُّبْل ، حَيْثُ يَقُولُ - مُفْتَخرًا بِنَفْسه-:

وآنَفُ أَنْ تَعْتَاقَ قَلْبِي خَرِيدَةٌ

بلَحْظ ، وأَنْ يَرْويَ صَدَايَ (

وَلِلْقَلْبِ مِنِّي زَاجِرٌ عَنْ مُّرُوءَة يُجَنِّبُهُ طُرُقَ الْهَوَىٰ فَيُجَابُ^(٣)

وَالنَّاسُ - يَا بُنَيَّ - يَتَفَاوَتُونَ، فَمنْهُمُ الذَّكيُّ الَّذي يَسْتَخْدمُ ذَكَاءَهُ فيمَا يَضُرُّهُ، فَيُسَدِّدُ به سَهْمَهُ، فَيُص مَقْتَلاً دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ أَحَدٌ ، وَرُبَّمَا لا يَعْرِفُ هَذَا اللِّصَّ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَقَعَ الْفَأْسُ عَلَىٰ الرَّأْسِ (1).

(١) الصَّدَىٰ: العَطَش، وَبَابُهُ عَمِيَ . (٣) الرُّضَاب: بزِنَةِ الغُرابِ: الرِّيقَ المَمْصُوصُ المَرْشُوفُ .

(٣) (ذم الهَوَىٰ) (ص ٤٨٠). (٤) لا يَحْسَبْ هَؤلاء أَنَّ نُفُوسَهُمْ قَدْ نَجَتْ ، فَقَدْ اقتَضتْ حِكْمَةُ اللهِ أَنَّ لِكُلِّ بَاطِحٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمًا يَلُوحُ ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَلَقَد ، أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

لا تُحْسَبَنَّ إِمهَالُهَا إِهمَالُهَا غَرَّهًا إِمهَالُ خَالقهَا لَهَا رِسَالُة إِلَى وَلَدِي مِرْتُ فِي الْمِرْنِي وَكُولُ فِي الْمُرْدِينِ فِي الْمُوالِينِ فِي الْمُرْدِينِ فِي الْمُعِينِ فِي الْمُرْدِينِ فِي الْمُعِينِ فِي الْمُعِينِ فِي الْمُعِينِ فِي الْمُوالِينِ فِي الْمُعِينِ فِي مُنْ الْمِينِ فِي الْمُعِينِ فِي الْمُعِينِ فِي الْمُعِينِ فِي الْمُعِينِ

يَا رَامِيًا بِسِهَامِ اللَّحْظِ مُجْتَهِدًا

أَنْتَ الْقَتِيلُ بِمَا تَرْمِي فَلا تُصِبِ

وَبَاعِثَ الطَّرْفِ يَرْتَادُ الشِّفَاءَ لَهُ

طَوِّقْهُ؛ إِنَّهُ يَأْتِيكَ بِالْعَطَبِ(١)

وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْمَاهُ هَوَاهُ ، فَلا يُبَالِي بِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ النَّاسِ، كَمَا قِيلَ: حُبُّكَ الشَّيْء يُعْمِي وَيُصِمُّ، كَحَالِ بَعْضهمْ وَقَد اسْتُنْفرَ للْجهاد، فَكَانَ جَوَابُهُ:

يَقُولُونَ جَاهِدْ - يَا جَمِيلُ - بِغَزْوَةً

وَأَيُّ جِنهَادٍ غَنِيْرَهُنَّ أُرِيدُ

لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةً

وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ(٢)

وَأَيُّ شَابٍّ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ - يَا بُنَيَّ - عَمَرَ مَجْلِسًا



⁽١) انظر « فتْنَةُ النَّظُر» لراقمه (ص٧٤).

⁽ ٢) انظر « ذَمُّ الهَوَىٰ » (ص٤٧٣).

عَفِيفًا كَالنَّارِ صَادَفَ هَشِيمًا؛ لأَنَّ النُّفُوسَ جُبِلَتْ عَلَىٰ حُلَىٰ حُبِلِّت عَلَىٰ حُبِلِّ النِّسَاء، كَمَا قيلَ:

إِنَّ النِّسَاءَ رَيَاحِينُ خُلِقْنَ لَكُمْ

وَكُلُّكُمْ يَشْتَهِي شَمَّ الرَّيَاحِينِ

وَمَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ ، لَمْ يَكَدْ يَسْلَمُ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ ، وَأَنْتَ - يَا بُنَيَّ - فَيْمَا نَحْسَبُكَ - لَكَ أَنَفَةٌ مِنَ الْبَلِيَّةِ ، وَأَنْتَ - يَا بُنَيَّ - فَيْمَا نَحْسَبُكَ - لَكَ أَنَفَةٌ مِنَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهُ اللْمُلْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْكِ اللْمُلْكِلَّةُ الللْ

خُلِقْتُ أَبِيَّ النَّفْسِ لا أَتَّبِعُ الْهَوَىٰ

وَلا أَسْتَقي إِلاَّ منَ المشرَبِ الأَصْفَىٰ

وَلا أَحْمِلُ الأَثْقَالَ فِي طَلبِ الْعُلا

وَلا أَبْتَغِي مَعْرُوفَ مَنْ سَامَنِي خَسْفا(١)

وَلا أَتَحَرَّىٰ الْعِزَّ فِيمَا يُذِلِّنِي

وَلا أَخْطُبُ الأَعْمَالَ كَي لا أَرَىٰ صَرْفا

⁽١) يُقَالُ: سَامه خَسْفًا - بِفَتْحِ الْخَاءِ وَضَمِّهَا- إِذَا أَوْلاهُ وُلاً.



وَلَسْتُ عَلَىٰ طَبْعِ الذُّبَابِ مَتَىٰ يُذَدْ

عَنِ الشِّيْءِ يَسْفُطْ وَهُو يَرَىٰ الْحَتْفَا(١)

وَهَذَا هُوَ الظَّنُّ بِكَ -يَا بُنَيَّ-،لَكِنْ قَدْ قِيلَ: مَنْ جَالَسَ جَانَسَ، وَقِيلَ: الصَّاحِبُ ساحِبٌ، والنِّسَاءُ الْعَاقِلاتُ لا تَسْمُو نُفُوسُهُنَّ وَتَعْلُو هِمَّتُهُنَّ إِلاَّ لِمثْلِ الَّذِي يَقُولُ:

لَقَدْ ضَلَّ مَنْ تَحْوي هَوَاهُ خَريدَةٌ (٢)

وَقَدْ ذَلَّ مَنْ تَقضِي عَلَيْه كَعَابُ (٣)

وَلَكِنَّنِي - وَالْحَمْدُ للهِ - حَازِمٌ

أُعِـــزُّ إِذَ ذَلَّتْ لَهُنَّ رِقَــابُ

وَلا تَمْلكُ الْحَسْنَاءُ قَلْبِي كُلَّهُ

وَلُوْ شَـمَلَتْنَا رقَّةٌ وَشَـبَابُ



⁽١) «الشعر» لأبي مَنْصُور الهَرَوي كَمَا فِي « ذَمّ الهَوَىٰ » (ص٤٨٠).

⁽٢) الخَرِيْدَة: البَكْرُ لَمْ تُمْسَسْ ، والجَمْعُ خَرَائِدُ ، وَخُرُدٌ ، وَخُرَّدٌ .

⁽٣) كَعَابِ - بزنَة سَحَابِ - الَّتِي نَهَدَ تَدْيُهَا وَارتَفَع .

وَأَجْرِي وَلا أُعْطِي الهَوَىٰ فَضْلَ مِقْوَدِي

وَأَهْفُو وَلا يَخْفَىٰ عَلَيَّ صَوَابُ (١)

وَهَذَا صَحِيحٌ - يَا بُنَيَّ - ؟ لأَنَّ الدُّرَّ كُلَّمَا كَانَ عَزِيزًا كَانَ عَزِيزًا كَانَ نَفيسًا، وَلا عَبْرَةَ بِمَنْ هُنَّ عَلَىٰ طَبْع الذُّبَابِ.

﴿ وَلَا يُنبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فَاطِر: ١٤].

وَالْعَاقِلُ إِذَا قَنِعَ بِمَا عِنْدَهُ ، جَعَلَ الله فيها الْبَركة، وَوَجَدَ لَهَا لَذَّةً تُسَاوي الدُّنْيَا، وَإِلاَّ فَالصَّوْمُ لَهُ وجَاءً.

قَالَ ابْنُ المُقَفَعِ: «اعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَوْقَعِ الأَمُورِ فِي الدِّينِ، وَأَنْهَكَهَا لِلْعَسَد، وأَتْلَفَهَا لِلْمَال، وأَقْتَلِهَا لِلْعَقْلِ، وأَنْهَكَهَا لِلْعَسَد، وأَتْلَفَهَا لِلْمَال، وأَقْتَلِهَا لِلْعَقْلِ، وأَزْرَاهَا لِلْمُرُوءَةِ، وأَسْرَعِهَا فِي ذَهابِ الجَلالَةِ والْوَقَارِ - الْغَرَامُ بالنِّسَاء.

وَمِنَ الْبَلاءِ عَلَىٰ المُغْرَمِ بِهِنَّ أَنَّهُ لا يَنْفَكُ يَأْجَمُ (٢) مَا

⁽٢) يَأْجُمُ: يَكْرَهُ وَيَمَلُ ، وَبَابُهُ ضَرَبَ وَفَرِحَ .



⁽١) الشعر لأبي فرأس الحَمْدانيِّ كَمَا في «ديوانه » (ص١٣).

عِنْدَهُ، وَتَطْمَعُ عَيْنَاهُ إِلَىٰ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ، وَإِنَّمَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ، وَإِنَّمَا لَيْسَاءُ أَشْبَاهُ.

وَمَا يَتَزَيَّنُ فِي الْعُيُونِ وَالْقُلُوبِ مِنْ فَضْلِ مَجْهُولاتِ عَلَىٰ مَعْرُوفَاتِ بَاطِلٌ وَخُدْعَةٌ، بَلْ كَثِيرٌ مِمَّا يَرْغَبُ عَنْهُ الرَّاغِبُ مِمَّا عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِمَّا تَتُوْقُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْهُنَّ.

وَإِنَّمَا الْمُرْتَغِبُ عَمَّا فِي رَحْلِهِ مِنْهُنَّ إِلَىٰ مَا فِي رِحالِ النَّاسِ - كَالْمُرْتَغِبِ عَنِ طَعَامِ بَيْتِهِ إِلَىٰ مَا فِي بُيُوتِ النَّاسِ.

بَلِ النِّسَاءُ بالنِّسَاءِ أَشْبَهُ مِنَ الطَّعَامِ بالطَّعامِ، وَمَا فِي رِحَالِ النَّاسِ مِنَ الأَطْعِمَةِ أَشَدُّ تَفَاضُلاً وَتَفَاوُتًا مِمَّا فِي رِحَالِ النَّاسِ مِنَ الأَطْعِمَةِ أَشَدُّ تَفَاضُلاً وَتَفَاوُتًا مِمَّا فِي رِحَالِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ (١).



⁽١) «الأدَبُ الصَّغِيرُ والأدّبُ الكَبِيْرِ» لابْنِ المُقَفّعِ (ص ١٥٠،١٤٩).



٩ - دُنُو الهِمَة

Z

دنىءُ الهمَّة لا يُصَاحَبُ، وَلا يُسَايَرُ، وَلا يُسَارَرُ، وكَيْفَ يُصَاحَبُ مَنْ تَحُومُ نَفْسُهُ حَوْلَ الدَّنَاءَات، وَالْإِخْلادِ إِلَىٰ الأرْض، وَالمَيْل إِلَىٰ الرَّاحَة وَالدَّعَة، وَمُحَقَّرَات الأُمُور؟! ، فَلَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ سوَىٰ مُلاحَقَة النِّساء في الأسواق والطُّرُقَات، وَمُتَابَعَة الْمُوضَة ، وَمُجَالَسَة السَّاقطينَ، فَلَوْ أَعَرْتَهُ سَمْعَكَ لَقُلْتَ هَذَا حَيَوَانٌ في صُورَة إِنْسَانِ، ولَيْسَ لِجَرْحِ الميِّتِ إِيلامٌ، وَلَعَلَّكَ -يَا بُنَيَّ- قَدْ رَأَيْتَ أُنَاسًا كَانُوا نَابِهِينَ، ولَهُمْ حَسَبُ، تَحْسُبُ لَهُمْ، لَكِنْ لَمَا صَاحَبُوا السَّاقطينَ سَقَطُوا ، وَهَانَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ، فَهَانُوا عَلَيْ أَهْليهم، ألا قَبَّحَ اللهُ همَّةً هَذَا حَالُهَا! .



رِسَالَة إِلَى وَلَدِي مِرْنَى رَضَّا الْحُولَى ؟

قَــبَّحَ اللهُ هِمَّـةً تَتَـسَامَىٰ

عَنْ كَبَارِ الأَقْدَارِ دُونَ الصِّغَارِ هِيَ أَهْلٌ لمَا عَرَاهِا (١) مِنَ الذُّلُ مِنَ الذُّلُ لَا عَرَاهِا (١) مِنَ الذُّلُ لَا عَرَاهِا (١) مِنَ الذُّلُ لَا عَرَاهِا (١) لَوْمَا مَسَّهَا مِنْ الإحْتِقَارِ (٢)





⁽١) عَرَاهَا: غَشيهَا وَأَصَابَهَا ، وَبَابُهُ عَدًا .

⁽٢) « دُيُوان الشَّوْكَانِيّ» (ص١٩٥).

١٥ - الكسل

S

أَيْ بُنَيَّ، الْكَسُولُ لا يُصَاحَبُ؛ لأَنَّ صُحْبَتَهُ طَرِيقٌ إِلَىٰ مَوْتِ الْهِمَمِ، وسُقُوطِ المَنْزِلَةِ، وَضَعْفِ الشَّخْصِيَّةِ.

وَيُعَرَّفُ الْكَسُولُ بِأَنَّهُ: الَّذِي يَتَغَافَلُ عَمَّا لا يَنْبَغِي التَّغَافُلُ عَنْهُ، وَيَقْعُدُ عَنْ عَنْهُ اللَّهُ وَيَقْعُدُ عَنْ التَّتَاقُلُ عَنْهُ، وَيَقْعُدُ عَنْ إِنَّمَامِهِ (١) ، وَيَتَخَافَلُ عَنْهُ ، وَيَقْعُدُ عَنْ إِنَّمَامِهِ (١) ، وَلَهَذَا عُدَّ مِنَ الْحَيَوانِيَّة ، وَصَارَ مِنْ جِنْسِ المُوْتَىٰ، وَمَنْ تَعَوَّدَ الْكَسَلَ، وَمَالَ إِلَىٰ الرَّاحَة ، فَقَدَ الرَّاحَة (٢) .

فَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا يَقُومُونَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَإِذَا الصَّلَاةِ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَإِذَا الصَّلَاةِ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ الجِهَادِ، خِلْتَهُمْ جُتَتًا هَامِدَةً، أَتَت ْ عَلَىٰ مَوْتِهَا سِنُونَ.

⁽٣) (الذُّرِيعَةُ إِلَىٰ مَكَارِمِ الشرِيعَة » (٣٨٤).



⁽١) (التَّوَقيف على مهمات التَّعَارِيف) (ص٢٨١).

⁽٢) «مَقَاييسُ اللُّغَة» (٥/١٧٨).

فَهُو شَرَّ اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ - عَيَّا اللهِ مِنْهُ النَّبِيُّ - عَيَّا اللهِ مِنْ الْكَسُولِ فِرَارَكَ مِنَ الْكَسُولِ فِرَارَكَ مِنَ الْكَسُولِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَد.

لا تُصْحُب الْكُسْلانَ في حَاجَاته

كُمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخَرَ يَفْسُدُ عَدُوَىٰ الْبَليد إِلَىٰ الجَليد سَريعَةٌ

وَالْجَمْرُ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَخْمُدُ (٢)



⁽٢) البَيتَان لأَبِي بَكْرٍ الْخُوَارَزْميُّ كَمَا فِي « يَتِيْمَةُ الدُّهر » (٤/٠٤).



⁽١) رَوَاهُ مُسلِمٌ (٢٧٢٢).

يَعَالُمُ اللَّهِ وَلَدِي مِرْتُحْ الْفِيلُونِ وَلَا مِنْ اللَّهِ السَّالِحِلْمِ اللَّهِ اللَّلَّمِ اللَّهِ اللَّمِلْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّالِيلَّا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ال

12121

 \angle

ا - الأَلْفَةُ قَاعِدةٌ ذَهْبِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ الصَّاحِبِ:

أَيْ بُنَيَّ، الأُلْفَةُ مِنَ الْقَوَاعِدِ الذَّهَبِيَّةِ الَّتِي قَعَّدَهَا السَّلَفُ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا الكتَابُ ، وَالسُّنَّةُ ، وَالْفطْرَةُ.

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنفَقْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْفَقْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْفَقَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) عَنْ عَائِشَةَ - ضَافِي – قالتْ: سَرِمِ عَنْ النَّبِيُّ - عَنْ عَائِشَةً - فَالْتُو الْمُرواحُ جُنودٌ سَرِمِ عَنْ النَّبِيُّ - يَقَلِيُّهُ - يقولُ: «الأرواحُ جُنودٌ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٣٦) - واللفظ لَهُ - ، وَمُسلِمٌّ (٢٦٣٨) مِن رَوَاية أَبِي هُرَيْرَةَ - وَطَيْنَهُ - .



مُجنَّدَةٌ (')، فَمَا تَعَارِفَ ('') مِنْهَا ائْتَلَفَ ('')، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ('')، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ('¹)».

قَالَ المحْافِظُ - رَحِهَ هُ اللهُ -: (قَالَ الْحَطَّابِيُّ: يُحتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَىٰ مَعْنَىٰ التَّشَاكُلِ فِي الْخَيْرِ والشَّرِّ، والشَّرِّ، والصَّلاحِ والفَسَاد، وأَنَّ الْخَيِّر مِنَ النَّاسِ يَحِنُّ (°) إِلَىٰ والصَّلاحِ والفَسَاد، وأَنَّ الْخَيِّر مِنَ النَّاسِ يَحِنُّ (°) إِلَىٰ شكْله، والشِّرِيرُ نَظِيرُ ذَلكَ ، يَمِيلُ إِلَىٰ نَظِيرِه؛ فَتَعَارُفُ الْأَرْواَح يَقَعُ بِحَسْبِ الطِّبَاعِ الَّتِي جُبِلَتْ عَلَيْها مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّ، فَإِذَا اخْتَلَفت تَنَاكَرَت .

قُلْتُ - أَي : ابْنُ حَجَرٍ - : وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ الْتَنَافرينَ رُبَّمَا ائْتَلفًا؛ لأنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَىٰ مَبْدَإِ التَّلاقِي،



⁽١) جُنودٌ مُجنَّدَةٌ: جُمُوعٌ مُجَمَّعَةٌ ، وَأَنْوَاعٌ مُخْتَلَفَةٌ.

⁽٢) تَعَارِفُ: تَوَافَقتْ صَفَاتُهَا ، وَتَنَاسَبَتْ أَخْلاقُهَا.

⁽٣) اثْتَلَفَ: مِنَ الأُلْفَةِ ، وَهِيَ الحُبَّةُ.

⁽٤) اخْتَلَفْ: تَبَاعَد.

⁽ ٥) يَحنُّ : يَشْنَاقُ وَيَتُوقَّ .

فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِأَصْلِ الخِلْقَةِ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَأَمَّا فِي ثَانِي الحَالَ فَي ثَانِي الحَالَ فَي كُونُ مُكْتَسَبًا؛ لِتَجَدَّدُ وَصْف يَقْتَضِي الأُلْفَة بَعْدَ النَّفْرَةِ: كَإِيمَانِ الكَافِرِ، وإحْسانِ المسييْءِ»(١).

وَأَمَّا أَدِلَةُ الْفطْرَةِ عَلَىٰ الْأَلْفَةِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وأشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ؛ فَقَدْ تَوَاتَرَ ذَلِكَ ، حَتَّىٰ أَصْبَحَ يُضْرَبُ بها المَثَلُ، فَمِنْ أَمْثَالُ العَامَّةِ:

«الْقُلُوبُ شَواهدُ».

وَقَالَ رَجُلٌ لآخَرَ: إِنِّي أُحِبُّكَ. فَقَالَ: «رَائِدُ ذَلِكَ عَنْدي »(٢).

أَيْ: أَنَّ الَّذِي عِنْدَكَ لِي مِثْلُ الَّذِي عِنْدِي لَكَ، كَمَا قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَاح:

⁽٢) «مُحَاضَراتُ الأُدبَاء» (٣/٢٥).



⁽١) «فَتْحُ الباري» (١٠/٤٢٦).

وَعَلَىٰ الْقُلُوبِ مِنَ الْقُلُوبِ دَلائِلٌ

بِالْوِدِّ قَبْلَ تَشَاهُدِ الأَرْوَاحِ(١)

وَقَالَ رَجُلُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ: إِنَّ فُلانًا يَقُولُ: إِنَّهُ يُحِبُّنِي، فَبِمَاذَا أَعْلَمُ صِدْقَهُ؟. قَالَ: «امْتَحِنْ قَلْبَهُ يُحِبُّنِي، فَإِنْ كُنْتَ تَوَدُّهُ فَإِنَّهُ يَوَدُّكَ »(٢).

وَرَأَىٰ ابْنُ عَبَّاسٍ - وَلِيَقِيْ - رَجُلاً، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا لَيُحِبُّنِي ». قَالُوا: وَمَا عِلْمُك؟!.

قَالِ: « إِنِّي لأُحِبُّهُ، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ منْهَا اخْتَلَفَ»(٣).



⁽١) «مُحَاضَراتُ الأُدَبَاءِ» (٢/٢٥).

⁽٢) «مُحَاضَراتُ الأُدَبَاءِ» (٢/٣٥).

⁽٣) (رَوَّضَة العُقَلاء ال (ص١٨٠).

وَقَالَ الْعُبُّاسَ بِنَ الأَحْنَفِ:

قَلْبِي وَقَلْبُكَ بِدْعَةٌ (١) خَلْقًا

يَتَحِارَيَان بصَادق الحُبِّ(٢)

ا ب- أَلْفَهُ الأَخْيَارِ:

أَيْ بُنَيَّ، إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَصْطَفْيَهُ لِنَفْسكَ مُنَاسِبًا ، وَوَجَدْتَ بَيْنَكُمَا أُلْفَةً وَمُشَاكَلَةً ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِ مُنَاسِبًا ، وَوَجَدْتَ بَيْنَكُمَا أُلْفَةً وَمُشَاكَلَةً ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي تَقَدَّمْتُ لَكَ بِذِكْرِ شَيءٍ مِنْهَا ، فَعَضَّ الصِّفَاتُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي تَقَدَّمْتُ لَكَ بِذِكْرِ شَيءٍ مِنْهَا ، فَعَضَّ عَلَيْه بنَواجذك ، وَشُدَّ عَلَيْه خَاصِرَتَكَ ، وَحَالُك :

فَقُلْتُ : أَخِي، قَالُوا : أَخُ مِنْ قَرَابَةٍ

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الشُّكُولَ أَقَارِبُ

نَسِيبي في رَأْسِي وَعَزْمِي وَهِمَّتِي

وَإِنْ فَرَّقَتْنَا فِي الأُصُولِ المناسِبُ

⁽٢) البِدْعَة -بالكَسْرِ-: الغَايَة فِي كُلِّ شَيْءٍ، والْمَرَادُ هُنا الغَايَةُ في الحُبِّ.



⁽١) «مُحَاضَراتُ الأُدَبَاء» (٣/٣٥).

عم ج- أَنْفَةُ الأَشْرَارِ:

أَيْ بُنَيَّ مَتَىٰ وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ نَوْعَ أُلْفَة لِلاََشْرَارِ اللَّذِينَ تَقَدَّمْتُ لَكَ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ أَوْصَافِهِمْ فَسَارِعْ لِلْبَحْثِ عَنِ الْمَقْتَضِي لِذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ وَحَاسِبْهَا، وَأَصْلِحْ حَالِكَ مَعَ اللهِ، يُصْلِحْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِهِ.

قَالَ الإِمامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ الله -: «ويستفادُ مِنَ الحَدِيثِ الْآرُواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ..] مِنَ الحَدِيثِ الْآرُواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ..] أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ نَفْرَةً مِمَّنْ لَهُ فَضِيلَةٌ أَوْ صَلاحٌ - فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْقُتَضِي لِذَلِكَ ؛ لِيَسْعَىٰ فَي إِزَالتِهِ، حَتَّىٰ يَتَخَلَّصَ مِنَ الوصْفِ المَدْمُومِ، وكذلك في إِزَالتِه، حَتَّىٰ يَتَخَلَّصَ مِنَ الوصْفِ المَدْمُومِ، وكذلك القَوْلُ فِي عَكْسِه» (١).

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَرْيَتِكَ - أُوِ الْبِلادِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا -

⁽١) «فَتْحُ البَاري» (٦/ ٣٧٠)، و« دَلِيلُ الفَالحِين» (٢/ ٢٣٧).



خِلٌّ صَالِحٌ، فَإِنَّ لَكَ فِي الكُتُب (١)عِوضًا عَنْ كُلِّ جَلِيسٍ.

قَالَ الخَطَّاسِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -:

وَإِنِّي غَرِيبٌ بَيْنَ بُسْتٍ (٢) وأَهْلِهَا

وَإِنْ كَانَ فِيهَا أُسْرَتِي وَبِهَا أَهْلِي

وَمَا غُرْبَةُ الإِنْسَانِ في غُرْبَة النَّوَى (٣)

وَلَكِنَّهَا -وَالله فِي عَدَمِ الشَّكُلِ (٤)

أَيْ بُنَيَ قَدْ تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَىٰ مُنَاسَبَةِ مَنْ لا يُنَاسَبُ وَكُلُو الْمُنَاسَبُ وَلَا يُنَاسَبُ ولا كَسَفَرٍ ، أَوْ عَمَلٍ ، أَوْ نَحْوِهِمَا ، وَهَذَا لا يَحْسُنُ ولا

[﴿] ٤ ﴾ ﴿ فَرَائِدُ الْخَرَائُد فِي الْأَمْثَالَ ﴾ ليُوسُفَ بْنِ طَاهِرِ الخويِّي (ص ٣٩٤).



⁽١) حتَىٰ الكُتُبُ تَحْتَاجُ لاخْتِبَارِ غَتُّهَا مِنْ سَمِينِهَا أَعْظَمَ مِنْ اخْتِبَارِ اللهِ ، وَمَا الصَّاحِب؛ فَإِنَّ صَحِيْحَهَا بِسَقِيْمِهَا مَعْجُونٌ ، حَاشًا كِتَابِ اللهِ ، وَمَا صَحَّ مِنْ سُنَّةً رِسُولِ اللهِ - عَلِي اللهِ - .

⁽٢) بُسْتَ- بالضَّمِّ- : بَلَدَ بسجسْتَانَ

⁽٣) النُّوك - بِزِنَةِ الْفَتَىٰ - : البُّعْدُ والفِرَاق.

يَجْمُلُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قيلَ: «الْنَاسَبَةُ تُورِثُ الْمُشَاكَلَةَ».

وَقيلَ: « مَنْ جَالَسَ جَانَسَ ».

فَحَذَارِ مِنْ هَذَا العِثَارِ؛ فَإِنَّ: «مِنَ الحَبَّةِ مَنْشَأَ الشَّجَر»، و«مَنْ بَاعَ عرْضَهُ أَنْفَقَ».

وَلَقْدُ أَجْسُنَ أَبُو الأَسْوَدِ الدُّولِي حِيْنَ قَالَ :

يَزِيْنُ الْفَتَىٰ فِي قَوْمِهِ وَيَشِينُهُ

وَفِي غَيْرِهِمْ أَخْدَانُهُ(١) وَمَدَاخِلُهْ لِكُلِّ امْرِئٍ شَكْلٌ مِنَ النَّاسِ مِثْلُهُ وَكُلُّ امْرِئِ يَهْوَىٰ إِلَىٰ مَنْ يُشَاكُلُهُ وَكُلُّ امْرِئِ يَهْوَىٰ إِلَىٰ مَنْ يُشَاكُلُهُ

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَائَهُ شَوْقِي:

تَجِـدُ الْكُتُبَ فِي النَّقْـدِ كَـمَـا

تَجِدُ الإِخْوَانَ صِدْقًا وَكِذَابِا

⁽١) الأَخْدَان : الأَصْحَاب ، واحدُهم: خِدْنُ- بالكَسْرِ - .



خَيَّ هَا كُمَا تَخْتَارُهُ

وَادُّخِرْ فِي الصَّحْبِ وَالْكُتُب

صَالِحُ الإِخْوَانِ يُبْغيكُ (١) التُّقَيٰ

وَرَشيدُ الكُتُب

وْكَانَ سُفْيَانُ بِنْ عَيْيْنَةُ يَتَمَثَّلُ:

وَ لَكُلِّ امْرِئٍ شَكْلٌ يَقَرُّ بِعَيْنِهِ فَكُلِّ يَقَرُّ بِعَيْنِ الْفَسْلِ أَنْ يَصْحَبَ وَقُرَّةُ عَيْنِ الْفَسْلِ أَنْ يَصْحَبَ



⁽ ٤) الغَسْل - بالفَتْح - الرَّذَائلُ الَّذي لا مُرُوْءَةَ لَهُ .



⁽١) اللُّبَابِ بالضَّمِّ الخَالص .

⁽٢) أَبْغَاهُ الشِّيءَ: أَعَانَهُ عَلَىٰ طَلَبه.

⁽٣) «الشّوقيَّات» (٢/١٧).

خطورة صديق السوء

أَيْ بُنَيَّ، بَعْدَ هَذَا التَّطُواف مَعِكَ، وبَعْدَ أَنْ عَلَمْتَ خُطُورَةَ صَدِيقَ السَّوْءِ قَدْ تَتَعَجَّبُ، لَكَنَّكَ سَوْفَ تَتَعَجَّبُ أَكْثَرُ إِذَا عَلَمْتَ أَنَّ هُنَاكَ أَنَاسًا يَعْرِفُونَ صَدِيقَ السَّوْءِ كَمَا يَعْرِفُونَ صَديقَ السَّوْءِ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، لَكَنَّهُمْ لا يُسَارِعُونَ إِلَىٰ السَّوْءَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، لَكَنَّهُمُ الخَلاصَ، ولاتَ التَّخَلُص مِنْهُ ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَنَّىٰ أَحَدُهُمُ الخَلاصَ، ولاتَ حينَ مَنَاصَ (١) ، وقَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَالُهُمْ كَمَا أَخْبَرَ ربُّنَا سُبَحانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا سُبِيلاً (٢٢) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذُ لَيْتَنِي الْمُ أَتَّخِذُ فُلانًا خَلِيلاً (٢٢) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذَّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِإِنسَانِ خَذُولاً (٢٦) ﴾ [الفُرْقَان: ٢٧ – ٢٩].

وَلَعَلَّ عَدَمَ الشَّجَاعَةِ فِي سُرْعَةِ التَّخَلُّصِ مِنْهُ، وَالْحَرْمِ فِي هَجْرِهِ - يَرْجِعُ إِلَىٰ عِدَّةِ أُمُورٍ، مِنْهَا:



⁽١) المُنَاص: المُلْجَأ .

رسَالُمَالِي وَلَدِي مِنْ فِي الْمُعَالِينِ وَلَدِي مِنْ فِي الْمُعَالِقِينَ الْمُعَالِقِينَ فِي الْمُعَالِقِينَ الْمُعَلِّقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَلِّقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَلِّقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَلِّقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَالِقِينَ الْمُعَلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينِ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلَّقِينِ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينِ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينِ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينِ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِّقِينَ الْمُعِلِينِ عِلْمِينَ الْمُعِينِ الْمُعِلِي عِلْمِينَ الْمُعِلِينِ الْمُعِلِي

١ - قلّة الْعِلْمِ، وَعَلَبَة الْجَهْلِ، وَهَذَا مِنْ شَانُه أَنْ يُورِثَ صَاحِبَهُ قلّة التَّلَمُّحِ لِلْعَوَاقِب، وَعَلاجُ ذَلَكَ بِطلَب الْعلْمَ عَنْدَ أَهْله، وَمَنْ عَجَزَعَنْ ذَلَكَ فَعَلَيْه بِسُؤالِ الْعُلْمَ عِنْدَ أَهْله، وَمَنْ عَجَزَعَنْ ذَلِكَ فَعَلَيْه بِسُؤالِ الْعُلْمَ عَنْدَ أَهْله، وَمَنْ عَجَزَعَنْ ذَلِكَ فَعَلَيْه بِسُؤالِ الْعُلْمَ وَاسْتِشَارَتِهِمْ؛ فَإِنَّ فِي سُؤالِهِمُ الْبَرَكَةَ، وَفِي الْعُلْمَاءَ وَاسْتِشَارَتِهِمْ سَدَادُ الرَّأْيِ الَّذِي يُحْمَدُ مَعَهُ الْفِعْلُ.

٣ - ضَعْفُ الشَّخْصِيَّة ، وَضَعْفُ الشَّخْصِيَّة مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُورِثَ صَاحِبَهَا الحِيرَة ، وَالتَّرَدُّد ، وَالْخَور ، وَالْجُبْن ، وَالْعَجْز ، وَعِلاجُها بِالتَّوكُل عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوكُّلهِ ، وَالْعَجْز ، وَعِلاجُها بِالتَّوكُل عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوكُّله ، وَمُجَالَسَة النَّبَلاء الَّذينَ هُمْ أَهْلَها .

" - الخِذُلانُ بِسَبَب ذُنُوبِ سَالِفَة، وَالخِذُلانُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ لَا لَهُ مُورِ عَلَىٰ غَيْرِ حَقِيقَتَهَا، يُورِثَ صَاحِبَهُ رُؤْيَةَ الْأُمُورِ عَلَىٰ غَيْرِ حَقِيقَتَهَا، فَيَرَىٰ الْبَاطِلَ حَقًا، وَالْحَقَّ بَاطِلاً، وَالصَّديقَ عَدُوًّا، وَالْعَدُو صَديقًا، وَهَكَذَا، وَعِلاجُهُ بِالتَّوْبَة، وَرَدِّ وَالْعَدُو صَديقًا، وَهَكَذَا، وَعِلاجُهُ بِالتَّوْبَة، وَرَدِّ الْطَالِم إِلَىٰ أَهْلَهَا.

وَلا إِخَالُكَ - يَا بُنَيَّ - إِلاَّ كَالشُّعْلَةِ في النَّارِ،

يُصَوِّبُهَا (١) صَاحِبُهَا ، وَتَأْبَىٰ إِلاَّ ارْتَفَاعًا ، وَحَالُكَ:

وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي إِذَا مَـــا

أَقُولُ لَهَا: لَعَلِّي أَوْ عَـسَاني

لَكِنْ - يَا بُنَيَّ - الْحَيُّ لا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَلَيْسَ إِمَامُ اللَّنْيَا فِي عَصْرِهِ اسْتَنْزَلَهُ سَمْتيتٌ (٢)، وَالسُّنِيُّ الكَبِيرُ وَالأَدِيبُ الْخَطِيرُ غَرَّتُهُ غَادَةٌ ؟! (٣).

فَقَالَ: قَدمَ عَلَيْنا جَعْفَرُ بَنْ سُلَيْمَانَ الضُّبَعيُّ ، فرأَيْتُهُ فَاضِلاً حَسَنَ الهَدْي، فَأَخذْتُ هَذَا عَنْهُ » اه.

(٣) جَاء فَي تَرْجَمَة عمْرَانَ بْن خَطَّانَ في «السِّير» (٤/٤): حَدَّثَ سَلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةً عَن ابْنِ سِيْرِيْنَ، قَالَ: تَزَوَّجَ عَمْرَانُ خَارِجِيَّةً، فَقَالَ: سَلَمَةُ بُنُ عَلْقَمَةً عَن ابْنِ سِيْرِيْنَ، قَالَ: تَزَوَّجَ عَمْرَانُ خَارِجِيَّةً، فَقَالَ: سَلَمَةُ بُنْ عُلْقَمَةً إِلَىٰ مَذْهَبِهَا.



⁽١) يُصُوِّبُهَا: يَخْفضُهَا.

⁽٢) جَاءَ فِي تُرْجَمَة جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الضَّبَعِيِّ فِي «تَهِذَيْبِ الكَمَالِ» (٥/٥): قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي عُتْمَانَ الطَيَالِسِيُّ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ مَعَيْنِ: سَمِعْتُ مِنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (أَي: الإِمَامِ الْمَحَدِّثُ شَيْخِ الشُّيُوخِ عَبْدِ الرَّزَّاقَ بْنِ هَمَّامِ الصَّنْعَانِيَّ) كَلاَمًا يَوْمًا فُاستَدْلَلْتُ بِهِ عَلَىٰ مَا فُكرَ عَنْهُ مَنْ اللَّذَهَبِ، فَقُلتُ : إِنَّ أُسْتَاذَيْكَ الَّذَيْنَ أَخَذَتَ عَنْهُمْ فُكرَ عَنْهُ مَنْ اللَّذَهَبِ، فَقُلتُ : إِنَّ أُسْتَاذَيْكَ اللَّذِيْنَ أَخَذَتَ عَنْهُمْ وَمَاللَكُ بْنُ أَنْسٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَمَاللَكُ بْنُ أَنْسٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَسَفْيَانُ التَّوْرِيُّ، وَالأُوزَاعِيُّ، فَعَمَّنْ أَخَذْتَتَ هَذَا الْمَذَهَبَ؟ .

رسَالَة إلى وَلَدِي مِنْ فِي صَالِحِينَ ؟

وَلَقَدُ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ:

وَلا يَنْفَعُ الجَرْبَاءَ قُرْبُ صَحِيحَةٍ

إِلَيْهَا ، وَلَكَنَّ الصَّحيحَةَ تَجْرَبُ

أَيْ بُنَيَّ، إِذَا رَأَيْتَ مِنْ صَاحِبِكَ نَوْعَ انْتِكَاسَة بَعْدَ صَلاح - فَعالجْهُ قَبْلَ أَنْ يُعَالِحَكَ، وَتَلْعَبَ بَكَ أَمْوَاجُهُ،

نَحْوَهُ، فَعَلِّقُ قَلْبَكَ بِالله، يُعَوِّضْكَ عَنْ كُلِّ فَائِت،

وَأَخْلِصْ تَتَخَلُّصْ مِنْ مُؤْنَةِ النِّزَاعِ (١) ، وَحَالُكَ :

فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ، وفِي التَّرْكِ رَاحَةٌ وفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ، وفِي التَّرْكِ رَاحَةٌ وَاللَّمْ المُ

(١) قَالَ ابْنُ القَيِّم - رَحمَهُ اللهُ - في «الفَوَائد» (ص١٤٢): «إِنّمَا يَجِدُ الْعَبْدُ الْمُشَقَّةَ فَي تَرَكُ المَأْلُوفَاتَ مِنْ تَرَكَهَا لِغَيْرِ الله ، أَمَّا مَنْ تَرَكَهَا صَادَقًا مُخْلَصًا مِنْ قَلْبِه ، فَإِنَّه لاَ يَجِدُ فِي تَرْكِهَا مَشْقَّةً إِلا فِي أَوَّل صَادَقًا مُخْلَصًا مِنْ قَلْبِه ، فَإِنَّه لاَ يَجِدُ فِي تَرْكِهَا مَشْقَّةً إِلا فِي أَوَّل وَهُلَةً ؛ لِيُمْتَحَنَ أَصَادِقٌ هُو فِي تَركِهَا أَمْ كَاذِبٌ ، فَإِنْ صَبْرَ عَلَىٰ تِلكَ المَشْقَّة قَلَيْلاً ، اسْتَحَالَت ْلَذَّةً » اهد.



- رِسَالَة إِلَى وَلِدِي مِرْقَ الْحِيَالِةِ الْحِيْلِةِ عِلَيْهِ الْحِيْلِةِ عِلَى الْحِيْلِةِ عِلَى الْحِيْلِةِ

وا سر به

_	
	_

0	الْقَدَّمَة
٨	نَصُ الرِّسالة
١.	اخْتِيارُ الصَّاحِب الصَّالِحِ تَوْجِيهٌ رَبَّانِيٌّ
۱۳	حَتُ النَّبِيِّ عَلَى الْخُتِيارِ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ
١٦	الإِنْسَانُ يُوَّتُّرُ وَيَتَأَثَّرُنَسَسَسَسَسَسَسَسَسَسَسَسَسَسَسَسَس
۲۱	تَأْثيرُ الصَّاحِبِ
۲٧	الصَّاحِبُ الصَّالِحُ لا يَشْقَى بِهِ جَلِيسُهُ الصَّالِحُ لا يَشْقَى بِهِ جَلِيسُهُ
٣١	الصَّاحِبُ السَّيِّئُ يَشْقَىٰ بِهِ جَلَيسُهُ
٣٤	الصَّالِحُ وَغَيْرُ الصَّالِحِ لا يَجْتَمِعَانِ
٣٧	اخْتِياًرُ الأصْحَابِ سَلَّهِ السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي
٤٥	بَعْضُ صِفَاتِ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ
٤٥	١ - الْعَقْلُ
٥.	٢ - الدِّينُ



رِسَالْمَة إِلَى وَلَدِي مِرْتُ مُولِي مِرْتُ الْمِرْدِي فِي الْمُعَالِمُ وَلِي الْمُرْدِي فِي الْمُرْدِي فِي

٥٣	٣ - حُسنُ الْعَتَقَدِ
٥٥	قَاعِدَةٌ فِي مَعْرِفَة حُسْنِ الْمُعْتَقَد: ٤ - التَّقْوَى ٤
٥٨	٤ - التَّقُوكي
77	٥ – الحسب
70	حِرْصُ السَّلَفُ عَلَىٰ صُحْبَةِ صَاحِبِ الْحَسَبِ:
٧.	حِرْصُ السَّلَفُ عَلَىٰ صُحْبَةِ صَاحِبِ الْحَسَبِ:
٧١	٧ - حسن الخلقِ
۱	۸ – الحَيَاءُ
۷¢	9 – التَّوَاضُعُ
٧٧	الْكَبْرُ دَلِيلُ النَّقْصِ:
٨١	١٠ - عُلُوُّ الْهِمَّةِ
٨٣	بَعْضُ صِفَاتِ دُخَلاءِ السَّوْءِ
٨٣	, ,
人〇	صُحْبَةُ اللِّمَامِ مِحْنَةُ الكِرَامِ:
٨٩	الانْقِبَاضُ عَنِ اللِّئامِ:
9	٢ - تَرْكُ الْصَّلاةِ



وَ الْعَالَى وَلَدِي مِرْفَ الْمِنْ الْعَالَمِي مِنْ وَالْعَالِحِيْنِ فِي الْمُنْ الْعِنْ فِي الْمِنْ الْمُنْ فِي الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ لِلْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ لِلْمُنْ ال

97	٣ - الحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا
99	٤ – النَّمِيمَةُ
١٠١	٥ - التَّلُوَّنُ
١٠٦	٦ - الحَسَدُ
۱۰۸	لا يَجْتَمِعُ الإِيمَانُ وَالْحَسَدُ :
۱۱۳	التَّخَلُّصُ منْ صُحْبَة الحَاسد:
110	٧ – الگذب ٔ
۱۱۲	٨ - الرَّغْبَةُ فِيمَا لا يَمْلِكُ
١٢٥	٩ - ذُنُوُّ الهِمَّةِ
١٢٧	١٠ - الْكَسَلُ اللهِ الْكَسَلُ اللهِ الْكَسَلُ اللهِ اللهُ اللهِ المِلْمُلِي المِلْمُلِي المِلْمُلِي المُلْمُلِي المِلْم
179	الأُلْفَةُ عَلَيْهِ عَلَى الْمُؤْلِقَةُ عَلَيْهِ عَلِيهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلَيْ
١٣٣	أ - الأُلْفَةُ قَاعِدَةٌ ذَهَبِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ الصَّاحِبِ:ب
١٣٤	جـ اللهُ الأشرارِ :
۱۳۸	خُطُورَةُ صَدِيقِ السَّوْءِ
	الفِهْرِسُ





www.moswarat.com

* التاج المفقود.

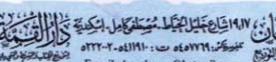
- * فن الحوار.
- * نعمة الأخوة. طريقنا للقلوب.
- * منتقى الأشعار. * ملك القلوب.
- * منتقى الفوائد ١/١. * تسهيل البلاغة.
 - * منتقى الأمثال . * كيف تنال محبة الله.
 - * الخطاب البليغ في جماعة التبليغ.
 - * الصحيح من الأثر في خطب المنبر.
 - * حادى الصديق إلى بيت الله العتيق.
 - * الأخلاق بين الطبع والتطبع.
 - * المنتقى من الأحاديث القدسية.
 - * نزهة الأحباب شرح منظومة الاداب.
 - * تحقة الخطيب (أصول الخطابة آدابها صفات الخطيب) .
 - * رسالة إلى ولدى.. من تصاحب؟.
 - * صلاة المسلم فضائل وأحكام.
 - تهذیب الأداب الشرعیة.
 - * ظلمات الظلم .

التوزيع في القاهرة: الْعُرَبِيُّ اللَّهِ

شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت، ٥١٢٠٦٢١ /٢٠٢٠

داركم المتميزة





E-mail: dar_aleman@hotmail.com